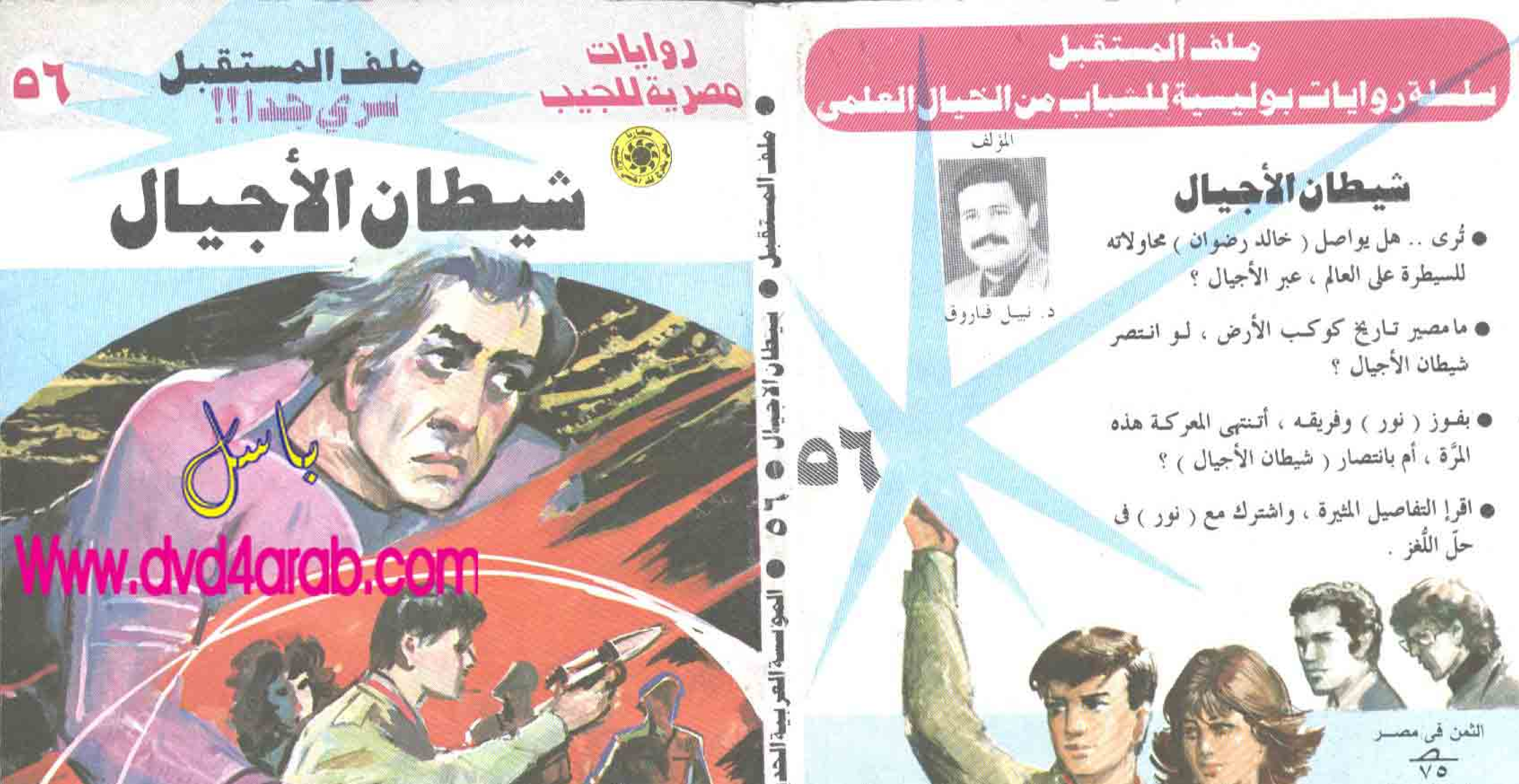


الثمن في مصر
٧٥
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : منطقة الضياع



١ ــ الضياع فى نهر الزمن ..

جلس (نور) و (محمود) متجاورَيْن ، على أرضيَّة تلك الزنزانة الرطبة الصغيرة ، التى ألقاهما فيها رجال (الجستابو) ، واستند كل منهم بظهره إلى جدارها الرَّطْب ، دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، وقد شرد كل منهما بمشاعره وأفكاره بعيدًا ..

كان (نور) يسترجع كل ما مرَّ به وبفريقه ، منذ بدأت رحلتهم عبر الزمن ..

لقد بدأ كل شيء فى ليلة هادئة ، من ليالى القرن الحادى والعشرين ، حينما التقى أفراد الفريق فى منزل (نور) ، قبيل منتصف الليل ، وهم يتصوَّرونَ أن (نور) قد استدعاهم لمهمة جديدة ، ثم فوجئ الجميع بأن أصحاب الاستدعاء الحقيقيِّين هم زوَّار فوق العادة ، من القرن الخامس والثلاثين ، أرادوا الاستعانة بـ (نور) وفريقه ، لمطاردة رجل من القرن الخامس والثلاثين ، يُدعى الدكتور (خالد رضوان) ، فرَّ عبر الزمن ، وعبر العصور ، فى محاولة منه لتغيير تاريخ العالم ، والسيطرة على كوكب الأرض فى كل الأزمان ، وكل الأجيال ..

وفى البداية أقنع رجال المستقبل الفريق بأنهم سيجوبون عبر الفضاء ، حيث يقاتلون الرجل فى كواكب شبيهة بالأرض ، تحيا فى حقبات ماضية ، وتعيش نفس أحداث وتاريخ كوكب الأرض ..

وبدأت المطاردة ..

بدأت فى (مصر) الأهرامات ، حيث دار الصراع فى بلاط الفرعون (خوفو) ، صاحب الهرم الأكبر ..

ثم انتقل إلى (روما) ، حيث اندلع القتال حامى الوطيس فى قلعة دون (فيوناتشى) ، فى القرن السادس عشر ..

وكاد الفريق [illegible] المعركة فى (أمريكا) القرن التاسع عشر ، حيث المسدَّس هو صاحب الكلمة العليا ، وحيث يعلو صوت الرصاصات على صوت العقل ..

ولكن الشيطان (خالد رضوان) نجح فى الفرار إلى عصر جديد ..

إلى (باريس) ، فى ذروة الحرب العالمية الثانية ..

والتقى (نور) وفريقه برجال المقاومة الفرنسية ، وزعيمتهم (برچيت) ، وهاجمهم رجال (الجستابو) .. ثعالب النازية ووحوشها ، ونجحت (سلوى) فى الفرار ، ونجح (رمزى) ..

وأسر (كارل مانهايم) ، ضابط (الجستابو) ، السادى الشرس ، (نور) و (محمود) ، وكاد يقتلهما فى محاولة لانتزاع ما يتصوَّر احتفاظهما به من معلومات ، لولا وصول الشيطان ..

لقد أصبح الشيطان يحتلّ الآن مكانة رفيعة ، فى جهاز المخابرات النازى ، وينتحل اسم (فريدريش هولدشتاين) ، مدير المخابرات النازية فى (أوروبا) ..

والتقى الشيطان بـ (نور) و (محمود) ، وتوصَّل (نور) فى ذلك اللقاء إلى استنتاج خطير مخيف ..

توصَّل إلى أنهم يجوبون عبر الزمن ، وليس عبر الفضاء ..

وحينما توصَّل إلى ذلك الاستنتاج ، حطَّم (خالد رضوان) ذلك القرص ، الذى يحمله (نور) ، والذى يُعَدّ الوسيلة الوحيدة لاستدعاء فقَّاعة الزمن ، والعودة إلى زمن الفريق ..

لقد أصبحوا أسرى للزمن ، الذى يحيون فيه الآن ..

ضائعين فى نهر الزمن ..

مهدَّدِين بالموت ، قبل أن تحين لحظة ميلادهم ..

والشيطان حرّ طليق ، يواصل لعبته الحقيرة لاحتلال العالم ، واحتلال التاريخ ..(*)

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوَّل (عبر العصور).. المغامرة رقم (٥٤). والجزء الثانى (أسرى الزمن).. المغامرة رقم (٥٥) .

كان غارقًا فى اجترار تلك الذكريات ، متسائلًا عن مصيره ومصير رفاقه ، بعد أن فقدوا الوسيلة الوحيدة لعودتهم إلى عصرهم ، حينما أيقظه (محمود) من استغراقه ، وهو يسأله فى يأس :

ــ هل أخبرتك (سلوى) عن خطتهم لتهريبنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى صمت ، فعاد (محمود) يسأله فى لهفة :

ــ ماذا سيفعلون ؟

التفت إليه (نور) ، وتطلّع إلى وجهه بعينين خاليتين ، خاويتين ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ ألا تخشى وجود أجهزة تصنُّت هنا يا (محمود) ؟

ارتسم القلق على وجه (محمود) ، وتلفَّت حوله فى حذر وتوتُّر ، قبل أن يهمس :

ــ هل تظنّ ذلك ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يغمغم فى شرود :

ــ لست أستبعده على الأقل .

سأله (محمود) فى انفعال :

ــ ولكنك قلق أيضًا .. أليس كذلك ؟

مطَّ (نور) شفتيه على نحو لم يرق لـ (محمود) مطلقًا ، قبل أن يتمتم :

ــ بلى يا (محمود) ، ولكن قلقى لا يتعلَّق بخروجنا من هذه الزنزانة الحقيرة .

سأله فى توتُّر :

ــ بِمَ يتعلَّق إذن ؟

زفر (نور) ، قبل أن يغمغم فى صوت يخلو من الارتياح :

ــ بالفرار من هذا الزمن ، والعودة إلى زمننا .

اتسعت عينا (محمود) فى ذعر ، وضرب الأرض بقبضته ، وهو يهتف فى سخط :

ــ لا يمكننا أن نبقى فى هذا الزمن إلى الأبد يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيماءة بلا هدف ، قبل أن يقول :

ــ إننى أكره ذلك أيضًا يا (محمود) ، ولكن ماذا يمكننا أن نفعل ، بعد أن حطَّم ذلك الحقير قرص استدعاء فقَّاعة الزمن ؟

حمل صوت (محمود) كل الهَلَع والارتياع فى أعماقه ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !!

زفر (نور) مرَّة أخرى ، قبل أن يغمغم فى صوت حانق حزين :

ــ إنها الحقيقة يا (محمود) .. لقد كُتب علينا الضياع .

واكتسى صوته بغضب عميق ، قبل أن يستطرد :

ــ الضياع فى نهر الزمن .

* * *

بدا (رمزى) وسيمًا ، ممشوق القوام ، وهو يرتدى زىّ جنرالات النازية ، وقد صبغ شعره بلون ذهبىّ ، وأضاف فوق شفتيه شاربًا مستعارًا ، من اللون نفسه ، وكان من الواضح أنه يبذل جهدًا ضخمًا ، للسيطرة على انفعاله وتوتُّره ، حينما قالت له (برچيت) ، زعيمة المقاومة ، فى حزم :

ــ لقد تمَّ كل شىء يا مسيو (رمزى) .. تلقَّى بيت الثعالب رسالة تؤكِّد قيام الجنرال (فون نيشتة) ، وهو أنت ، بزيارة مقرّ (الجستابو) هذا المساء ، ولقد تأكَّد (الجستابو) من صحة الرسالة ، دون أن يدركوا أننا أيضًا أصحاب هذا التأكيد ، وبات كل شىء معدًّا لزيارتك الخاصَّة ، ولكن ..

صمتت لحظة حينما وصلت إلى تلك الكلمة ، ثم استطردت فى صوت أشد حزمًا :

ــ ينبغى أن تعلم أن خطة اقتحام بيت الثعالب ستعتمد كلها عليك ، وأى خطإ منك قد يؤدِّى إلى مصرع العشرات من رجال المقاومة .

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ــ اطمئنِّى ..

اقتربت منه (سلوى) ، وناولته ذلك المسدَّس الليزرىّ ، الذى يشبه أسلحة الغرب القديمة ، وهى تقول فى اضطراب واضح :

ــ خذ هذا .. أعتقد أنه سيفيدك كثيرًا .

وعجزت عن كتمان مشاعرها ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تستطرد :

ــ حاول أن تنقذ (نور) و (محمود) يا (رمزى) .. ابذل أقصى جهدك بالله عليك .

سرت فى جسده مَوْجة من التوتُّر ، وهو يغمغم :

ــ سأفعل يا (سلوى) .. سأفعل بإذن الله .

* * *

داخل حجرة صغيرة ، فى فندق متواضع ، يطلّ مباشرة على بيت الثعالب ، زمجر (هملر) ، القائد الأعلى لقوات



قاطعه (خالد رضوان) فى هدوء ، وهو يتطلّع عبر نافذة الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، فى انتباه واهتمام ..

(الجستابو) ، فى مزيج من السخط والاستنكار ، وهو يقول محتدًّا :

ــ لست أفهمك يا عزيزى (فريدريش) !.. حقيقة لست أفهمك ؟.. إنك تتصرّف على نحو غامض منذ صباح أمس ، لماذا كان إصرارك على أن نأتى من (برلين) إلى (باريس) سرًّا ؟.. ولماذا تصرّ على أن نقيم معًا فى هذه الحجرة الحقيرة ؟.. لقد اعتدت أن أنزل فى أفخر الفنادق ، فى كل الدول التى احتلّها جيش الرايخ و....

قاطعه (خالد رضوان) فى هدوء ، وهو يتطلّع عبر نافذة الحجرة ، إلى بيت الثعالب ، فى انتباه واهتمام :

ــ ينبغى للقائد الناجح أن يدير معركته من قلبها يا عزيزى (هملر) .

هتف (هملر) فى سخط :

ــ أية معركة يا (فريدريش) ؟!.. إنهم رجال المقاومة الفرنسيّة فحسب !

ابتسم (خالد) ابتسامة ساخرة ، لم يلمحها (هملر) ، وهو يقول :

ــ الذين نحاربهم هذه المرة ليسوا مجرّد رجال مقاومة

عاديِّين يا (هملر) .. إنهم أخطر رجال المقاومة على الإطلاق ، والقضاء عليهم مجتمعين قد يؤدِّى إلى تغيير نتائج الحرب تمامًا .

غمغم (هملر) فى دهشة :

ــ إلى هذا الحد ؟!

أومأ (خالد) برأسه إيجابًا فى هدوء ، وقال :

ــ إلى هذا الحد يا (هملر) ..

ثم التفت إليه مستطردًا :

ــ ألم تسأل نفسك لماذا لم أصدر أوامرى بإعدام الرجلين ، اللذين يحتفظ بهما (كارل) فى بيت الثعالب ، على الفور ؟.. لقد احتفظت بهما لأجعل منهما فخًّا ، يوقع بالرجل والمرأة الآخرين ، بحيث نجمع البيض كله فى سلة واحدة ، ثم ننسفه نسفًا .

زمجر (هملر) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ كان يمكننا أن نعدم الرجلين ، دون أن نعلن ذلك .

هزَّ (خالد) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كان الآخران سيعلمان يا (هملر) .

هتف (هملر) فى سخط :

ــ كيف يا (فريدريش) ؟.. كيف ؟

ارتسمت الابتسامة الساخرة مرَّة أخرى ، على شفتى (خالد) ، وهو يجيب :

ــ لن يمكنك أن تتصوَّر مدى الوسائل المتقدِّمة ، التى يملكها هؤلاء الأربعة يا عزيزى (هملر) ..

ولكننى أعلم ذلك علم اليقين .. امنحنى ثقتك فحسب .

لوَّح (هملر) بذراعيه ، وهو يهتف .

ــ وماذا يمكن للرجل والمرأة أن يفعلا ؟

أجابه (خالد) فى صرامة :

ــ سيحاولان اقتحام بيت الثعالب ، لإنقاذ رفيقهما يا (هملر) .

غمغم (هملر) فى حِدَّة :

ــ سيعنى هذا أن الأربعة مصابون بالجنون المطبق .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة قصيرة ، قبل أن يجيب :

ــ وهو كذلك يا (هملر) .

لم يكد يتم عبارته حتى صك مسامعه صوت درّاجات النازى البخارية، وهى تقبل من بعيد ، فأدار عينيه إلى النافذة فى شغف وترَقُّب ، ورأى الدرَّاجات البخارية تتوقَّف أمام بيت الثعالب ، وعلى متنها رجال المقاومة الفرنسيَّة ، فى زى جنود

الجيش النازى ، وبينهم سيّارة تحمل علم ألمانيا الهتلرية ، هبط منها (رمزى) ، فى زى جنرالات النازيّة ، وتقدَّم نحو مدخل بيت الثعالب فى خطوات رشيقة ثابتة ، فتألَّقت عينا (خالد) ، وهو يقول فى مزيج من الظفر والشماتة والانفعال :

ـ لقد اجتمع البيض كله فى السلّة يا عزيزى (هملر) .. مُرْ رجالك ببدء الخطة ..

وأردف فى صوت خفيض ، وبلغة عربية :

ـ لقد انتصرنا على رجال القرن الحادى والعشرين ، فى معركة الزمن .

* * *



٢ ـ فى بيت الثعالب ..

استقبل (كارل مانهايم) (رمزى) فى احترام ، ومدّ يده عن آخرها أمام جسده ، وهو يهتف بالتحية العسكرية الألمانية :

ـ هَايِلْ هِتْلِر .

أجابه (رمزى) بتحية مماثلة ، ثم حَدَجَهُ بنظرة باردة ، وهو يقول بألمانية سليمة :

ـ أرجو أن يكون كل شىء على ما يرام هنا يا (كارل) .

اعتدل (كارل) فى وقفة عسكرية صارمة ، وشمخ بأنفه ، وهو يجيب :

ـ كل شىء على ما يرام يا جنرال (فون نيشتة) .

دار (رمزى) بعينيه فى أرجاء المكان فى بطء ، وهو يقول :

ـ وماذا عن إجراءات الأمن ؟

أجابه (كارل) فى ثقة وحزم :

ـ لا يمكن للذبابة أن تدخل هذا المكان ، دون موافقتنا يا سيِّدى .

أومأ (رمزى) برأسه فى هدوء ، ولكنه لم ينجح فى إخفاء تلك اللهفة ، التى ملأت صوته ، وهو يسأله :
ـ وماذا عن الأسيرَيْنِ ؟
عقد (كارل) حاجبيه فى رِيبَة ، وهو يقول :
ـ أى أسيرين يا سيِّدى الجنرال ؟
تظاهر (رمزى) باللامبالاة ، وهو يقول :
ـ لقد وصلنى أنك قد أوقعت باثنين من زعماء المقاومة الفرنسيَّة .. أليس كذلك ؟
حَدَجه (كارل) بنظرة طويلة مُستريبَة ، قبل أن يغمغم :
ـ بلى .. هذا صحيح يا سيِّدى .
عادت اللهفة تتسلَّل إلى صوْت (رمزى) ، وهو يسأله :
ـ أين هُما ؟
مرَّة أخرى حَدَجه (كارل) بنظرة مُستريبَة ، ثم أجاب :
ـ هنا .. ماذا يريد منهما سيِّدى الجنرال ؟
أجابه (رمزى) فى صوت ، مَلأه بكل ما يملك من حزم وصرامة :
ـ لقد أتيت لاصطحابهما ، إلى حيث يتمّ استجوابهما مرَّة أخرى .

ارتفع حاجبا (كارل) فى دهشة ، ثم عقدهما بكل ما يملأ كيانه من سخط ورِيبة ، وقال فى صرامة :
ـ لم يحدث هذا أبدًا من قبل يا سيِّدى الجنرال .
هتف به (رمزى) فى حِدَّة :
ـ سيحدث الآن يا (كارل مانهايم) .
عقد (كارل) كفيه خلف ظهره ، وانتصب فى صرامة ، وهو يقول فى حزم غاضب :
ـ يؤسفنى أن الجواب هو كلّا يا سيِّدى الجنرال .. إن أسْرَى (الجستابو) هم لـ(الجستابو) وَحْدهم .. هكذا أمرنا قائدنا (هِتْلَر) .
صاح به (رمزى) فى غضب :
ـ ولكننى آمُرك أيُّها الـ ..
قاطعه (كارل) فى صرامة :
ـ لست أتلقَّى الأوامر سوى من الجنرال (هتلر) يا جنرال (فون نيشته) ـ قد أسمح لك باستجوابهما ، بصفتك أحد رجال المخابرات الألمانية ، ولكن داخل مقرّنا .. أمّا اصطحابهما إلى الخارج ، فهو المستحيل بعينه .
عقد (رمزى) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :
ـ هل تجرؤ أيها الـ .. ؟

قاطعه (كارل) فى جِدَّة :
ـ هكذا تقضى أوامر الجنرال (هِتْلَر) يا سيِّدى .
خفق قلب (رمزى) فى شدة بين ضلوعه ..
كان من الواضح أن (كارل) هذا ضابط (جستابو) مثالىّ ..
شديد الاعتزاز والفخر بسلاحه ..
شديد الصرامة والحزم فيما يتعلَّق بأوامر قائده ..
وران الصمت طويلًا على حجرة (كارل مانهايم) ، وهو يتبادل مع (رمزى) نظرات صارمة حازمة ، قبل أن يعود إلى صوت (رمزى) هدوءه ، وهو يقول :
ـ لا بأس يا (كارل) .. هناك وسيلة أخرى للتفاهم .
وفجأة كان مسدسه الليزرىّ مصوَّبًا إلى رأس (كارل مانهايم) ، وهو يستطرد فى حزم :
ـ هذه .
اتسعت عينا (كارل) فى دهشة واستنكار ، وهو يهتف :
ـ ماذا تفعل بحق الشيطان ؟.. هل تصوِّب مسدَّسك إلى ضابط (جستابو) ؟
وامتلأ صوته بالغضب والسخط ، وهو يستطرد :

ـ داخل بيت الثعالب ؟
أجابه (رمزى) فى خشونة :
ـ يروق لى أن أفعل أيها الوغد .. هيَّا .. ستقودنى إلى الأسيرين ، وتتنازل عنهما لى برغم أنفك .
عقد (كارل) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :
ـ لو أنك تظن أننى سأفعل ، فأنت واهم و ..
قاطعه (رمزى) فى مزيج عجيب من الانفعال والسخرية :
ـ مهلًا قبل أن تتبجَّح يا رجل (الجستابو) .. إن هذا المسدَّس المصوَّب إلى رأسك ليس مسدَّسًا عادِيًّا .
ثم أدار فُوَّهَة مسدَّسه إلى تمثال صغير ، يمثِّل (هتلر) ، وضغط زناده ..
واتسعت عينا (كارل) فى خليط من الرُّعْبِ والذُّهول ، حينما شاهد خيط أشعة الليزر ، الذى انطلق من فُوَّهَة المسدَّس ، وأذابَ التمثال كلَّه فى لحظة ، وتراجع فى ذعر هائل ، وجحظت عيناه ، وهو يحدِّق فى فُوَّهة المسدَّس ، مغمغمًا :
ـ أى سلاح شيطانىّ هذا ؟
أجابه (رمزى) فى سخرية :
ـ إنه سلاح من أعماق الجحيم يا (كارل مانهايم) ، ولو



ثم أدار فُوَّهة مسدَّسه إلى تمثال صغير ، يمثِّل (هتلر) ، وضغط زناده ..

نفذت أشعته عبر جمجمتك ، ستعانى آلامًا مبرّحة ، لا حصر لها ، وسيذوب مخك رويدًا رويدًا ، وتشتعل أعضاؤك كما لو أنك داخل قدر نحاسى ، فى فرن حرارىّ رهيب .. هل تميل إلى تجربة ذلك يا (كارل) ؟

كان (رمزى) يعلم أن قوله يخالف حقيقة مفعول أشعة الليزر تمامًا ، ولكنه كان يستغلّ خبرته فى الطب النفسى للإيقاع بقلب (كارل) ، وبث الرُّعب فى أعماقه ، ليستسلم لرغباته تمامًا ..

ولقد نجح ..

لقد ظلَّ (كارل) يحدِّق فى فُوَّهةِ مسدَّس الليزر فى رُعْب هائل ، ثم لم يلبث أن غمغم فى مرارة :

ــ لماذا تريد الأسيرين ؟

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ــ هذا شأنى .

حاول (كارل) أن يستجمع شجاعته ؛ ليرفض الانصياع لمطلب (رمزى) ، إلَّا أنَّ مشهد التمثال ، الذى أذابته أشعة الليزر ، ظلَّ يلحّ على عقله ، فانفرجت شفتاه ، دون أن يفوه بحرفٍ واحد ، ثم لم يلبث أن أحنى رأسه ، وهو يغمغم فى استسلام :

ـ حسنًا .. إنهما لك ..

* * *

صافح (رمزى) (نور) و (محمود) فى حرارة ، وتهلّلت أسارير الثلاثة بفرحة اللقاء ، وهتف (نور) فى مرح ، وباللغة العربية :

ـ رائع يا عزيزى (رمزى) .. لقد كنت بطلًا هذه المرّة .

أشار (رمزى) إلى (كارل) ، وحارسى الزنزانة ، وقد وقف الثلاثة يتميّزون غضبًا ، وقال مبتسمًا :

ـ من حسن الحظ أن صديقنا (كارل) قد استسلم فى سرعة .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ هذا طبيعى أمام خبير بالطب النفسى مثلك يا عزيزى (رمزى) .

عقد (كارل) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ بأية لغة تتحدّثون ؟

أجابه (نور) فى سخرية ، بالألمانية :

ـ بلغة المستقبل يا عزيزى (كارل) .

زمجر (كارل) ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـ إن مغادرة الزنزانة أمر سهل ، ولكنكم لن تغادروا بيت الثعالب أحياء أبدًا .

أجابه (رمزى) ساخرًا .

ـ هل تظن ذلك ؟

صاح (كارل) فى حِدّة :

ـ بل أوقن مما أقول .. إن أوامرنا فى (الجستابو) شديدة الصرامة .. فحتى لو أسرتمونى ، وحاولتم الفرار من هنا ، اعتمادًا على ذلك ، سيطلق رجالى النار علينا جميعًا .. سيقتلوننى معكم لو اقتضى الأمر ، ولكنهم لن يسمحوا لكم بالفرار أبدًا .

تبادل (نور) و (رمزى) و (محمود) نظرات قلقة ، ثم انحنى (نور) ، والتقط أحد مدفعى الحارسين ، ونهض قائلًا :

ـ ومن قال إننا سنفرّ يا عزيزى (كارل) .. لقد دخل (رمزى) إلى هنا كزائر ، وسيغادر المكان على نفس النحو .

* * *

عبر (رمزى) ردهات بيت الثعالب فى خطوات هادئة ، متأبطًا ساعد (كارل) ، الذى لم ينجح فى إخفاء الحنق

المرتسم على وجهه فى وضوح ، وخلفهما سار (نور) و (محمود) فى زِىّ حارِسَيْنِ من رجال (الجستابو) ، وكل منهم يحمل مدفعًا رشاشا ، فى حين علا صوت (رمزى) ، وهو يقول فى صرامة جنرالات الألمان :

ـ كل شىء على ما يرام يا (كارل) ، ولكننى أرجو أن أجد الأمور أفضل فى زيارتى القادمة .

قال هذا ، وضغط مسدَّسه الليزرى فى جنب (كارل) ، الذى ضغط أسنانه فى غيظ ، وهو يغمغم :

ـ دعنا نأمل ذلك يا .. يا جنرال (فون نيشته) .

كان الجميع يسيرون فى هدوء نحو مخرج بيت الثعالب ، ورجال (الجستابو) يفسحون لهم الطريق فى احترام ، وهم يؤدون التحية العسكرية ، حتى بلغ الجميع باب مقر (الجستابو) ، فغمغم (كارل) فى سخط :

ـ سيكون من سوء حظك أن نلتقى مرَّة ثانية ، أيها الجنرال الزائف ، فلن أتردَّد فى قتلك حيذاك .

ابتسم (رمزى) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مَنْ يَدْرِى ؟.. ربّما تكون قد بلغت من العمر أرذله ، حينما نلتقى فى المرَّة القادمة يا عزيزى (كارل) و .....

كان ينطق عبارته هذه ، وهم يغادرون المبنى ، ولقد بترها بغتة ، وهو يحدِّق فى المشهد العجيب ، الذى ينتظره ..

لقد كان رجال (الجستابو) يحيطون بالمكان ، وقد أسروا كل رجال المقاومة ، الذين ينتحلون شخصية جنود النازية ، وتهلَّلت أسارير (كارل) ، فى حين ارتسمت الدهشة على وجوه (نور) و (رمزى) و (محمود) ؛ أمام ذلك السيل من فُوَّهات المدافع الرشَّاشة ، المصوَّبة إلى صدورهم ، ورأوا (هملر) يجلس فى هدوء ، داخل سيارة مصفَّحة ، ترفع على مقدِّمتها علم النازية ، ذا الصليب المعقوف ، ويدسّ بين شفتيه سيجارًا ضخمًا ، وهو يقول فى صرامة :

ـ انتهت اللعبة أيُّها السَّادة ، لا أحد يغادر بيت الثعالب حيًّا .

* * *



٣ ـــ من يطلق الرصاص ..؟

« عملية فاشلة .. » .

هكذا هتفت (برچيت) فى حَنَق ، وهى تومئ بسبابتها فى وجه (سلوى) ، الشاحب الممتقع ، قبل أن تستطرد فى غضب :

ـــ لقد كان رجال (الجستابو) على علم بكل ما فعلنا .. لقد أعدُّوا خطتهم لاقتناص الجميع ، وبدلًا من أن نخرج رفيقيك ، فقدنا رفيقك الثالث ، وعشرة من رجالنا .

انتفض قلب (سلوى) بين ضلوعها ، وهى تقول فى لَوْعة :

ـــ هناك خائن إذن بين الصفوف ، لا ريب فى ذلك .

تبادل رجالِ المقاومة الفرنسية نظرات الغضب والاستنكار ، ثم انبرى (آلان) ، أحد قادتهم ، قائلًا فى حِدَّة :

ـــ إننى أوافق هذه المرَّة .. هناك خائن بين الصفوف ، وهذا الخائن هو ..

وحَدَجَها بنظرة قاسية صارمة ، قبل أن يستطرد :

ـــ أنتِ .

هتفت (سلوى) فى دهشة وذعر :

ـــ أنا ؟!

صاح فى وجهها غاضبًا :

ـــ نعم .. أنتِ .. أنتِ ورفاقك جواسيس وخونة .. كل شيء يؤكِّد ذلك .

ولوَّح بذراعيه ، وهو يستطرد ، موجِّهًا حديثه إلى رفاقه :

ـــ راجعوا معى كل ما حدث ، وستجدون أننى على حق .. لقد امتلأت (باريس) بصور هذه الفتاة ورفاقها الثلاثة لعام كامل ، دون أن يدرى أحد لماذا يطالب النازيون برءوسهم ، ثم ظهروا فجأة ، بلا ماض .. بلا تاريخ ، ومنذ ظهورهم بدأت الهزائم تتوالى فى مرارة .. كشف (الجستابو) مقرّنا فى حانة (چان بول) ، واقتحموه ، وقتلوا (چان) ، وتظاهروا بأسر رفيقى هذه الخائنة ، ثم اقترحت هي وزميلها وسيلة لإنقاذ رفيقيها ، وأقنعتنا بمعاونتهما ، وبعدها تفشل الخطة ، ونفقد عشرة من رجالنا ، هل لديكم تفسيرٌ آخر لكل هذا ، سوى أنها ورفاقها مجرَّد خونة ؟

غمغمت (برچيت) ، وهى ترمق (سلوى) بنظرة صارمة غاضبة :

ـ كلا يا (آلان) .. لا يوجد تفسير آخر .

صاحت (سلوى) فى ارتياع :

ـ ولكننا كنا نسعى لمعاونتكم بالفعل .. ألم ألتقط لكم الموجة السرّيّة لبيت الثعالب ؟.. ألم يحاول (رمزى) معاونتكم ، مضحّيًا ، بحياته ؟

صاح (آلان) غاضبًا :

ـ وَمَنْ أدرانا أن كل هذا حقيقى ؟!.. لقد صنعت جهازًا لم نر مثله من قبل ، وربّما كان مجرّد لعبة ، لإيهامنا بأنك خبيرة إليكترونيات ، ومن أدرانا أن زميلك كان يضحى بحياته بالفعل ، وليس مجرّد ممثل بارع ، أراد أن يوقع بنا جميعًا ؟

واستطرد فى حزم ساخط :

ـ أنت وأمثالك تعملون على أن تنتصر النازيّة ، وهذا ما لن يحدث أبدًا .

صاحت (سلوى) :

ـ ولكن النازية لن تنتصر .. ستتغير مسار الحرب فى الثلوج الروسية ، وستبدأ هناك هزائم الألمان ، وسيخسر (هتلر) نصف جيشه فى انسحابه ، وسيهبط الحلفاء هنا ، ويحرّرون (باريس) و .....

قاطعها غاضبًا :

ـ هل ستدعين القدرة على التنبؤ بالمستقبل أيضًا ؟

صاحت فى مرارة :

ـ إننى لا أدّعى شيئًا .. إن ما ذكرته لكم مجرّد تاريخ .

حدّق الجميع فى وجهها بدهشة ، ثم لوّحت (برچيت) بذراعها فى غضب ، وصاحت :

ـ أى هُراء هذا ؟.. التاريخ هو جزء من الماضى ، ولكنك تتحدثين عن نبوءات مستقبلية عجيبة !!

شحب وجه (سلوى) ، وهى تنقل بصرها بين العيون الغاضبة ، والوجوه الساخطة المستنكرة ، ثم أطرقت برأسها وهى تقول فى مرارة :

ـ حسنًا أيها السادة .. سأخبركم بالقصة كلها .. أعلم أنكم لن تصدّقوا حرفًا واحدًا مما سأقول ، ولكننى سأخبركم .. أقسم أننى سأخبركم بالحقيقة . الحقيقة فقط .

* * *

عقد (هملر) حاجبيه فى غضب ، وهو يواجه (كارل مانهايم) فى حجرة مكتبه الفاخرة ، فى بلدية (باريس) ، وأشار إلى (نور) و (رمزى) و (محمود) ، الذين يقفون

فى حراسة خمسة من الجنود المدجَّجِين بالسّلاح ، فى ركن المكتب ، وهتف ساخطًا :

ـ لقد خدعوك يا (كارل) .. يا للعار !!.. خدعوا واحدًا كنت أعتبره من أفضل رجال (الجستابو) .

غمغم (كارل) فى توتُّر :

ـ لقد خدعوا إجراءات الأمن يا سيِّدي الجنرال ، وليس ..

صاح به (هملر) مقاطعًا :

ـ لا تتحجَّجْ بإجراءات الأمن يا (كارل) .. لقد كان ينبغى أن تتحقَّق من شخصية هذا الجنرال الزائف ، قبل أن تسمح له بدخول بيت الثعالب .

غمغم (كارل) فى اضطراب :

ـ جرت العادة يا سيِّدى الجنرال ألّا ..

عاد (هملر) يقاطعه فى صوت هادر :

ـ أية عادة يا ضابط (الجستابو) ؟.. هناك القانون .. قانون (الجستابو) الذى لا يرحم .

أطرق (كارل) برأسه ساخطًا ، أقرب إلى الانفجار ، فى حين تابع (هملر) فى حَنَق :

ـ ماذا كان يمكن أن يحدث ، لو لم أهْرَعْ إلى هنا ، تاركًا (الفوهلر) فى (برلين) ؛ لأمنع تلك الكارثة ؟.. كانت هيبة (الجستابو) كلها ستنهار ، وكنا سنتحوَّل إلى مهزلة .

غمغم (كارل) فى يأس :

ـ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه مرَّة أخرى فى ثورة :

ـ كفى يا (كارل) .

وعقد كفَّيْهِ خلف ظهره ، وهو يتجه إلى مكتبه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ لقد وقَّعت أمر نقلك يا (كارل) .

وجلس خلف مكتبه ، وبسط راحتيه فوقه ، وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يردف فى غلظة :

ـ إلى الجبهة السوفيتية .

شحب وجه (كارل) ، واتسعت عيناه فى ذعر ، ثم لم يلبث أن أدّى التحية النازية ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيِّدى الجنرال .

أشار إليه (هملر) أن ينصرف فى ازدراء ، فدار (كارل) على عقبيه ، ورمق (نور) ورفيقيه بنظرة صارمة ساخطة ، ثم غادر الحجرة فى خطوات سريعة ..

والتفت (هملر) إلى أبطالنا الثلاثة ، وهو يقول فى غضب :

ــ والآن ماذا نفعل بكم ؟

وتركَّزت عيناه على وجه (رمزى) ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ هل تعلم عقوبة من ينتحل شخصية جنرال ألمانى يا فتى ؟

أجابه (رمزى) فى توتُّر :

ــ نعم .. أعلم .

ضرب (هملر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصرخ :

ــ الإعدام يا فتى .. الإعدام بلا رحمة .

غمغم (نور) فى هدوء ، دون أن يبعد عينيه عن وجه (هملر) الغاضب :

ــ هل تذكر ما فعلناه فى بلاط (خوفو) يا (رمزى) ؟

غمغم (رمزى) :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء :

ــ لقد فشلت القوة فى إنقاذنا ، ولم يعد هناك من سبيل سوى عينيك ، وبراعتك فى التنويم المغناطيسى يا صديقى .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ لقد فهمت .

دوَّى صوت (هملر) ، وهو يَصْرَخ فى غضب :

ــ لا حقّ للأسرى فى تبادل الحديث .

اعتدل (رمزى) ، وهو يقول :

ــ لدىّ ما أحبّ أن أخبرك به يا سيِّدى .

عقد (هملر) حاجبيه فى ريبة ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يغمغم :

ــ هيَّا يا فتى .. تكلَّم .

أشار (رمزى) إلى رفيقيه ، وقال :

ــ ليس أمام هذين .

عاد (هملر) يضرب سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ــ قلت لك تكلَّم .

تنهَّد (رمزى) ، وهو يقول :

ــ هل فحصت سلاحى الخاص يا سيِّدى الجنرال ؟

غمغم (هملر) فى انفعال :

ــ أى سلاح خاص ؟

أشار (رمزى) إلى مسدسه الليزرى ، الذى يستقر أمام
(هملر) ، على سطح مكتبه ، وقال فى هدوء :
ـ هذا .. إنه ليس مسدسًا عاديًا كما يبدو .
التقط (هملر) المسدس ، وفحصه فى عناية ، ثم مطّ شفتيه
مغمغمًا فى ازدراء :
ـ بالتأكيد .. إنه مسدس بدائى الصنع ، ضعيف .
ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :
ـ هلّا صوّبته إذن إلى أى هدف يحلو لك ، وأطلقته ؟
رمقه (هملر) بنظرة مستريبة ، وقلّب المسدس فى راحته
بحذر ، ثم صوّبه إلى لوحة معلّقة على جدار مكتبه ، وهو
يغمغم :
ـ ماذا سيفعل ؟.. هل سيصدر دويًا أكبر ؟
ولكنه لم يكد يضغط زناد المسدس ، ويرى شعاع الليزر
الذى انطلق منه ، والذى أذاب إطار اللوحة فى لحظة ، حتى
اتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، وألقى المسدس جافلًا ، وهو
يهتف :
ـ أى سلاح هذا ؟
أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـ إنه مجرّد تجربة لسلاح مخيف ، ينوى الأمريكيون إنتاجه
هذه الأيام ، ليضمنوا النصر فى الحرب يا سيّدى الجنرال .
تحسّس (هملر) السّلاح فى انفعال ولهفة ، ثم هتف :
ـ ولكنك تحمل سِرّه .. أليس كذلك ؟
أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ بلى .. ولكننى لن أخبر به سواك يا جنرال .
صاح (هملر) فى وجه حرّاسه الخمسة فى انفعال :
ـ أخرجوا الأسيرين الآخرين .. هيّا .. بسرعة .
ثم عاوده حَذَره ، فاستدرك فى حزم :
ـ وليَبْق حارسان لمراقبة هذا الرجل .
وقف (رمزى) ثابتًا ، حتى أخرج الحرّاس الثلاثة (نور)
و (محمود) من الحجرة ، وسأله (هملر) فى انفعال :
ـ حسنًا .. ما سرُّ هذا السلاح الشيطانى ؟
غمغم (رمزى) :
ـ هل لى أن أهمس لك به يا سيّدى الجنرال ؟
صاح (هملر) فى انفعال :
ـ بالتأكيد .
ثم أسرع يستدرك :



تطلّع (رمزى) إلى عينى قائد (الجستابو) مباشرة ، ولخيّل للرجل ، الذى امتلأ التاريخ بالروايات المخيفة عنه ، أن عينى (رمزى) تشعّان ببريق عجيب ..

ـ ولكن الحارسين سيمطرانك بالرّصاص ، لو لجأت إلى أية خدعة .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالتأكيد يا چنرال .

نهض (هملر) من خلف مكتبه ، وحدّق فى عينى (رمزى) ، وهو يقول فى لهفة :

ـ هاتِ ما لديك .

تطلّع (رمزى) إلى عينى قائد (الجستابو) مباشرةً ، وخيِّل للرجل ، الذى امتلأ التاريخ بالروايات المخيفة عنه ، أن عينى (رمزى) تشعّان ببريق عجيب ، وأنهما تتسعان وتتسعان ، وخيل إليه أن صوت (رمزى) يأتى من بئر سحيقة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ من الخطإ أن يلقى (الجستابو) القبض علينا يا چنرال .. أليس كذلك ؟

تحجّرت عينا (هملر) ، وهو يغمغم فى شرود :

ـ بالتأكيد .

عاد (رمزى) يقول بصوته العميق ، الذى يتسلّل فى أعمق أعماق زعيم (الجستابو) :

ــ إننا أصدقاء ، ونعمل لحساب الرايخ الثالث ، والقبض علينا لم يكن سوى خدعة ، لإقناع رجال المقاومة بحسن نوايانا ، ولكنك ستأمر بإطلاق سراحنا فورًا ، وستعيد إلىّ مسدّسى .

عاد (هملر) يغمغم فى شرود :

ــ بالتأكيد .

ازداد بريق عينى (رمزى) ، وازداد اتساعهما ، وبدا صوته أكثر عمقًا ، وهو يقول :

ــ أخبر حرّاسك بذلك إذن .

أدار (هملر) عينيه إلى الحارسين ، وقال فى شروده العجيب :

ــ من الخطإ أن نلقى القبض على هؤلاء الثلاثة .. إنهم أصدقاء ، يعملون لحسابنا ، ولم يكن القبض عليهم سوى خدعة ؛ لإقناع رجال المقاومة بحسن نواياهم ، وأنا آمركم بإطلاق سراحهم ؛ وإعادة ذلك السلاح الرهيب إليهم .

وبلا تفكير أو اعتراض ، أسرع الحارسان يحلّان وثاق (رمزى) ، ويعيدان إليه مسدّس الليزر ، فالتقطه فى ارتياح ، والتفت يتطلّع إلى عينى (هملر) ، وهو يقول :

ــ والآن أبلغ هذا للجميع ، ودعنى أنصرف مع رفيقىّ .

وفجأة دوّى صوت صارم غاضب يقول :

ــ على جثتى أيها الطبيب النفسى !!

وفى ركن الحجرة ، وأمام باب جانبىّ وقف الجنرال (فريد ريش هولدشتاين) غاضبًا ، يصوّب مسدّسه إلى (رمزى) ..

ولم يكن ذلك الجنرال سوى شيطان الأجيال (خالد رضوان) ..

* * *



٤ ـــ الخروج من الجحيم ..

حدَّق (آلان) و (برچيت) ، وباقى رجال المقاومة الفرنسية ، فى وجه (سلوى) ، بمزيج من الدهشة والاستنكار والشك ، قبل أن تغمغم (برچيت) :

ـــ المستقبل ؟!.. أىّ هُراء هذا الذى تقصّين يا (سلوى) ؟.. إن قصتك هذه المرَّة تتجاوز كل خيال .

زفرت (سلوى) ، وهى تقول فى يأس :

ـــ ولكنها الحقيقة .. لقد أتيت أنا ورفاقى من المستقبل .. من القرن الحادى والعشرين ، لنطارد (فريدريش هولدشتاين) ، الذى هو فى الواقع أحد رجال القرن الخامس والثلاثين و.....

صاح (آلان) فى صرامة :

ـــ كَفَى !!

ثم التفت إلى رجال المقاومة ، مستطردًا فى حِدَّة :

ـــ هل يصدِّق أحدكم قصتها ؟

هزُّوا رءوسهم نفيًا فى بطء ، فاستدار إلى (سلوى) ،

وحدجها بنظرة قاسية ، جمدت لها الدماء فى عروقها ، قبل أن تهتف :

ـــ اسمعوا .. إن ما أخبرتكم به هو الحقيقة الخالصة .

ثم أشارت إلى الجهاز الذى صنعته ، لالتقاط موجة بيت الثعالب السِّرِّيَّة ، وهى تستطرد :

ـــ هل يمكن لأحدكم أن يصنع مثل هذا ؟.. إنه اختراع فائق متطوِّر بالنسبة لكم ، ولكنه مجرَّد لعبة أطفال فى العصر الذى أتيت منه .

هتف (آلان) :

ـــ وما أدرانا أن هذا الشىء معجزة تكنولوچية حقيقية ؟

قفزت إلى جهازها ، وهى تقول فى انفعال :

ـــ أية موجة تحب أن تلتقط ؟.. انظر .

أدارت مؤشِّر جهازها فى عصبية ، فتعالت من الجهاز أصوات يابانية ، ثم أدارته مرَّة أخرى ، فأصدر أصواتًا روسية ، وهتفت فى حَنَق :

ـــ هل يوجد جهاز واحد فى هذا العصر ، يمكنه أن يلتقط موجات قارَّة أخرى ، بهذا الوضوح ؟

عقدت (برچيت) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

— هذا ليس دليلًا على صحة قصتك .
صاحت (سلوى) فى مرارة :
— أىّ دليل تنشدون إذن ؟
تبادل الجميع نظرات الحَيْرة ، ثم قال (آلان) فى حِدَّة :
— أى دليل يمكنك تقديمه ؟
قلبت كفيها فى يأس ، وهى تغمغم :
— كل ما لدىّ هو تاريخنا ، الذى هو مستقبلكم ، الذى لن ترَوْه و ...
وفجأة بترت عبارتها ، وتألّقت عيناها ، وهى تهتف :
— نعم .. سترونه .. سأقدّم لكم الدليل فوق شاشة فِضيَّة .
وتهلّلت أساريرها ، وهى تستطرد فى ارتياح :
— فوق شاشةٍ ما ستطلقون عليه يومًا اسم (التليفزيون) .

* * *

تقدّم (خالد رضوان) نحو (رمزى) ، عبر مكتب (هملر) الواسع ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه ، قائلًا فى غضب وصرامة :

— لقد سيطرت عليه بالتنويم المغناطيسى .. أليس كذلك ؟
نقل الحارسان بصريهما بين (هملر) ، الذى بدا شاردًا ، وبين (رمزى) و (خالد) ، وارتسمت الحيرة على وجهيهما ، فى حين أجاب (رمزى) فى صرامة :
— بلى .. إنه أحد الأساليب التى طوّرتها التكنولوچيا كما تعلم .
مطّ (خالد) شفتيه ، وهو يقول فى صرامة :
— لقد قرأت ذلك فى كتب التاريخ ، بعد أربعة عشر قرنًا من مولدك يا فتى .
ثم انعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى غضب :
— ولكن مصرعك ومصرع رفاقك سيسبق مولدكم .
رآه (رمزى) يجذب إبرة مسدَّسه ، فالتفت إلى (هملر) ، وقال فى توتُّر :
— ما قولك يا قائد (الجستابو) ؟
ظلّ (هملر) صامتًا شاردًا ، وابتسم (خالد) فى شراسة ، وهو يقول :
— لا فائدة .. أنت بنفسك انتزعته من عالم الوَعْى .

تجاهله (رمزى) ، وهو يحدِّق فى عينى (هملر) ، قائلًا فى بطء وعمق وهدوء :

ــ ولكنه يعلم أننا أصدقاء ، وسيمنع أى شخص من أن يمسّنا بسوء ، حتى لو كان أنت يا چنرال (فريدريش) .. أليس كذلك يا (هملر) ؟

غمغم (هملر) :

ــ بالتأكيد .. لا أحد يمسّكم بسوء .

أدرك (خالد) ما يرمى إليه (رمزى) ؛ فهتف فى غضب :

ــ لن أسمح لك .

ولكن حارسا (هملر) رفعا فوَّهتى مدفعيهما الرشاشين فى وجه (خالد) ، الذى صاح فى حَنَق :

ــ ماذا تفعلان بحق الشيطان ؟

ابتسم (رمزى) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ينفذان أوامر قائدهما يا شيطان الأجيال .. ألم يأمرهما بمنع أى شخص يريد أن يمسّنا بسوء .

خفض (خالد) مسدَّسه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ أهنئك أيها الطبيب النفسى .. لقد أنقذك ذكاؤك هذه المرَّة .

قال (رمزى) فى صرامة :

ــ وأوقع بك أيضًا ، بعد جولة عبرَ العصور يا شيطان الأجيال .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (خالد) ، وهو يقول :

ــ أوقع بى ؟!.. يا لَكَ من ساذَج !

وارتفعت سبابته فى وجه (رمزى) ، وهو يستطرد فى غضب :

ــ لن تُوقِعَ بى أبدًا يا رجل القرن الحادى والعشرين .. قد تنجح فى السيطرة على (هملر) ، أو حتى على (هتلر) نفسه ، أما أنا فلا .. لا .

ثم اندفع فجأة نحو الباب الجانبى ، الذى دخل منه ، وصاح (رمزى) فى الجنديَّين :

ــ اقتلاه .. اقتلاه .

ولكنَّ الجنديين لم يطلقا رصاصة واحدة ، فقد كان من العسير عليهما أن يقتلا ثالث رجل فى الرايخ الثالث ، فى حين تقتضى أوامرهما منعه من الإساءة إلى (رمزى) ورفيقه فحسب ..

ورفع (رمزى) مسدَّسه الليزرى وصوَّبه إلى (خالد) ، وهو يصرخ :

ـ لن تواصل الفرار أبدًا .

ولكن أحد الجنديين أطاح بمسدَّس (رمزى) بكعب بندقيَّته ، وهو يصرخ :

ـ كلَّا .. لا تطلق النار على الجنرال .

سقط المسدَّس تحت قدمي الجندىّ الثانى ، الذى صوَّب مدفعه فى وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـ أرجوك يا سيِّدى ..

التفت (رمزى) نحو (هملر) وصاح :

ـ مرهما بقتله .

غمغم (هملر) فى شرود :

ـ اقتلاه .

تبادل الجنديَّان نظرات الدهشة ، ثم اندفعا خلف (خالد) ، فأسرع (رمزى) يلتقط المسدَّس الليزرىّ ، ويدسّه فى جيبه ، ثم التفت إلى (هملر) ، قائلًا :

ـ هيَّا .. مر رجالك بإطلاق سراحنا .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ قد ينجو ذلك الشيطان من الحارسَيْن ، ولكنه لن ينجو منَّا أبدًا .. أبدًا .

* * *

٥ ـ اللقـــاء ..

احتفظ (رمزى) بزىّ الجنرال النازى ، وهو يجلس إلى جوار (نور) فى واحدة من سيارات (الجستابو) ، يقودها (محمود) عبر طرقات (باريس) ، وهو يرتدى ـ مثل (نور) ـ زى جنود النازية ، وسأل (نور) (رمزى) فى اهتمام :

ـ إلى متى تدوم سيطرتك على (هملر) يا (رمزى) ؟

زفر (رمزى) ، قبل أن يجيبه :

ـ أعتقد أنه قد استعاد وَعْيَه الآن ، وسيبادر بمطاردتنا ولا شك ، ولكنه لن يذكر شيئًا عن مسدَّس الليزر ، أو وسيلة فرارنا .

سأله (محمود) :

ـ وماذا عن أوامره بقتل (خالد) ؟

مطّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ سيتراجع عنها بالطبع .

أومأ (نور) برأسه متفهِّمًا ، ثم قال فى صرامة :

ـ ولكن شيطان الأجيال هذا لن يفلت منّا أبدًا يا (رمزى) .

ثم استطرد قائلًا :

ـ قف هنا يا (محمود) .

سأله (رمزى) فى توتُّر :

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ سنتخلَّى عن ثياب النازية يا (رمزى) ، فلا ريب أن نصف جيش (ألمانيا) فى (باريس) سيبحث عنا بلا رحمة ، ولا بدَّ لنا من وضع خطة محكمة ، وإلَّا حُكِمَ علينا بالبقاء فى هذا العصر إلى الأبد .

واكتسى صوته بصرامة هائلة ، وهو يستطرد :

ـ وسأبذل آخر قطرة دم فى جسدى ، لأحُولَ بيننا وبين ذلك .

* * *

اتسعت عينا (هملر) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجه (خالد) هاتفًا :

ـ أنا يا عزيزى (فريدريش) ؟!.. أنا أمرت بقتلك ؟!

صاح (خالد) فى غضب :

ـ نعم يا (هملر) .. أنت فعلت ذلك ، وأرسلت حارسيك لقتلى ، ولكننى بترت عنقيهما ، وعدت إليك .

انقلبت ملامح (هملر) فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا (فريدريش) .. مستحيل أن أكون قد فعلت ذلك .. إننى لا أذكر شيئًا مما حدث يا عزيزى .. لا أذكر شيئًا على الإطلاق .

عضّ (خالد) شفتيه فى غضب ، وقال :

ـ أعلم ذلك يا (هملر) .. لقد هزمك ذلك الوغد بعينيه فقط .

غمغم (هملر) فى حَيْرة :

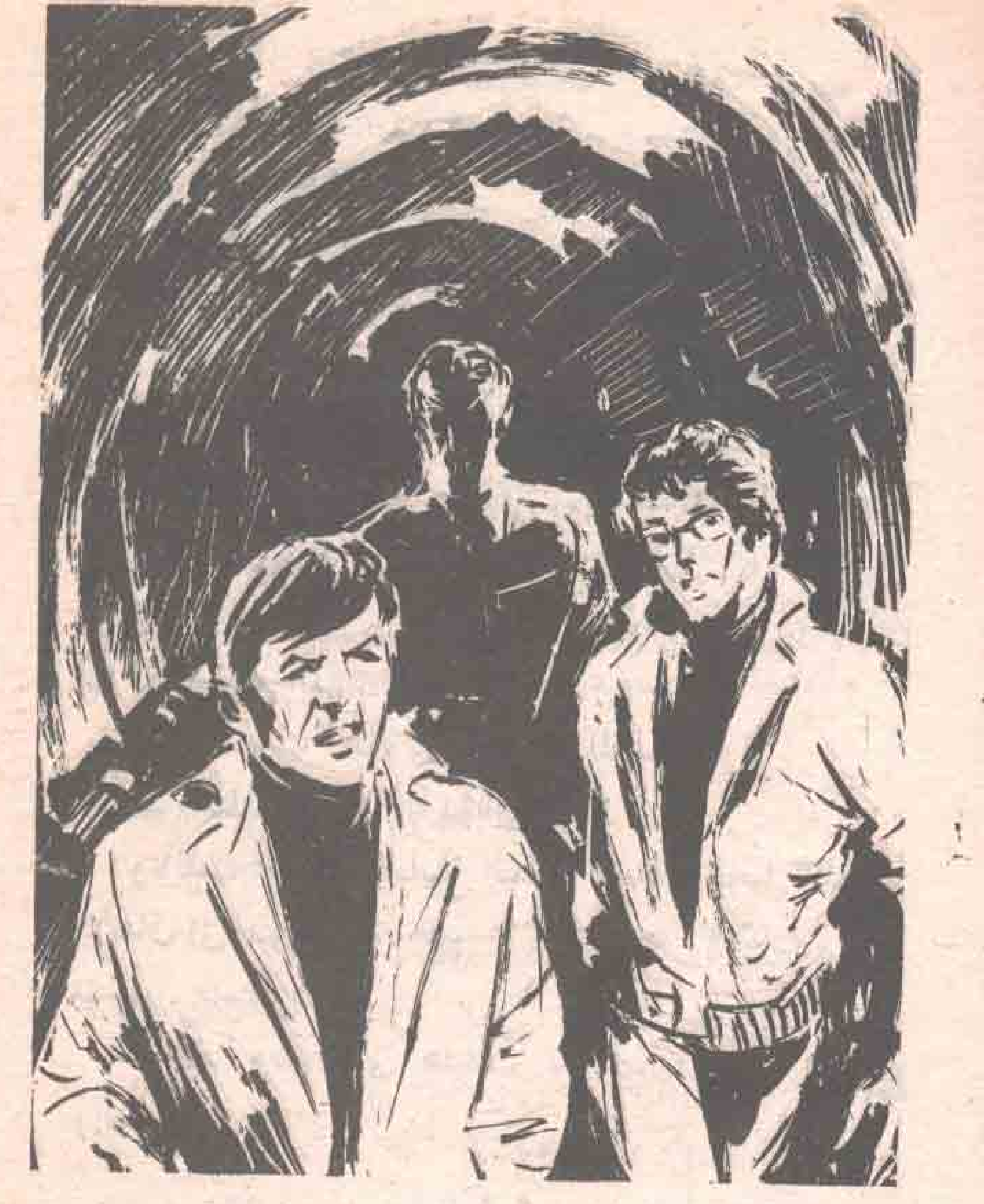
ـ بعينيه ؟!

زفر (خالد) ، وهو يقول :

ـ دعك من هذا .. لقد ربحوا هذه الجولة أيضًا ، ولكننا سنقلب التاريخ كله رأسًا على عقب .

سأله (هملر) فى حَيْرة :

ـ كيف ؟



غمغم (محمود) فى توتُّر ، وهو يسير إلى جوار (نور) و (رمزى) ، فى أنفاق (باريس) المظلمة

شرد (خالد) ببصره لحظات ، ثم قال فى صرامة :

ــ لا داعى للانتظار بعد الآن ، سنقفز بـ (ألمانيا) العظمى فى طفرة تكنولوچية ، إلى عصر الليزر ، والقنبلة الذَّرِّيَّة .. سنهزم الحلفاء كلهم دفعة واحدة .

* * *

غمغم (محمود) فى توتُّر ، وهو يسير إلى جوار (نور) و (رمزى) ، فى أنفاق (باريس) المظلمة :

ــ هل أنت واثق من أننا سنعثر عليهم هنا يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ تمام الثقة يا (محمود) ، فلقد ذكر التاريخ ، بعد نهاية الحرب العالميَّة الثانية ، أن رجال المقاومة الفرنسية كانوا يتخذون أنفاق (باريس) وكرًا لهم .

قال (رمزى) :

ــ هذا صحيح يا (نور) ، ولكن التاريخ ذكر أيضًا أن هذه الأنفاق تعدّ مقبرة ، لمن يجول فيها بلا هدف ، فهى كثيرة متشابكة معقَّدة ، يستحيل الوصول فيها إلى هدف ما ، دون خريطة واضحة ،

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ سنجازف يا (رمزى) .

غمغم (محمود) :

ــ ولكن يا (نور) ...

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ــ لا يوجد لكن يا (محمود) .. إن خطر (خالد) لم يعد يَهدُف إلى القرن الخامس والثلاثين وحده ، بل إلى تاريخ الأرض كله ، منذ هذه اللحظة ، وحتى نهاية الزمان .. لو انتصر (خالد) فسيضيع تاريخنا كله ، وستسقط كل الأجيال القادمة ، تحت رحمة هذا الشيطان .. كلَّا يا (محمود) .. إننا لن نتراجع أبدًا .. لن نتراجع .

ارتفع صوت فجأة بين الممرَّات المظلمة يقول :

ــ أهنئك على هذا المبدإ أيها الرائد .

وتألَّقت أضواء المصابيح اليدوية فجأة ، لتحيل ظلمات الأنفاق إلى ضوء مبهر ، ظهر على أثره وجه (آلان) ، وهو يبتسم ، مستطردًا :

ــ لقد وصلتم إلى هدفكم يا رجال القرن الحادى والعشرين .

* * *

٦ ــ خلف الشيطان ..

اندفعت (سلوى) تلقى نفسها بين ذراعى زوجها ، وتفجَّرت دموع السعادة من عينيها ، وهى تهتف :

ــ حمدًا لله يا (نور) .. حمدًا لله .. لم أتوقَّع لقاءنا مرة أخرى أبدًا .. أبدًا يا (نور) .

ربَّت على كتفيها فى حرارة ، وهو يقول فى حنان :

ــ لقد شاء الله (سبحانه وتعالى) أن نلتقى مرَّة أخرى يا عزيزتى .

وأبعدها عن صدره ، وتطلَّع إلى عينيها ، وهو يسألها فى مرح :

ــ ولكن كيف نجحت فى إقناع رجال المقاومة بأننا من المستقبل .

ضحكت فى مرح ، وهى تقول :

ــ لقد صنعت لهم تليفزيونًا ، ولقد بهرهم ذلك تمامًا ، فاعترفوا بأننا من عالم يفوقهم كثيرًا .

هتف (محمود) فى دهشة :

ــ وكيف أمكنك الحصول على أنبوب (الكاثود) ؟

ضحكت قائلة :

ــ إننى لم أستخدم أسلوب الإسقاط عَبْرَ أنبوب (الكاثود) يا عزيزى (محمود) ، لقد قفزت بهم فجأة إلى التليفزيون ، الذى يعتمد على الإسقاط المباشر .. لقد اقتضت مقتيات العصر اختصار أجيال من عالم المذياع المرئى .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ــ إذن فقد نجونا بواسطة تليفزيون .. يا لها من مهزلة !!

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، ثم قال :

ــ إننا لم ننج بعد يا رفاق ، فنجاتنا .. بل نجاة العالم أجمع توقَّف على سعينا خلف الشيطان .. شيطان الأجيال ..

* * *

شحب وجه (سلوى) ، وهى تجلس بين رجال المقاومة الفرنسيَّة ، يستمعون إلى (نور) ، وهو يقصّ عليهم قصة تحطيم (خالد) لقرص استدعاء فقَّاعة الزمن ، وهتفت (سلوى) فى هَلَع :

ــ هل تعنى أنه قد حُكم علينا بالبقاء فى هذا العصر إلى الأبد ؟

غمغم فى مرارة :

ــ أخشى ذلك يا (سلوى) .

أطرق (رمزى) و (محمود) برأسيهما فى أسًى ، فى حين غمغمت (سلوى) فى ارتياع :

ــ يا إلٰهى !!

ران على المكان صمت مطبق ، قبل أن تتألَّق عينا (نور) ، ويهتف فجأة :

ــ ما لم نصل إلى ذلك الشيطان .

ارتفعت إليه كل العيون فى دهشة ، وغمغمت (برچيت) فى حَيْرة :

ــ وبم سيفيد كم ذلك ؟

أجابها فى حماس :

ــ إنه يمتلك فقَّاعة زمن أخرى ، يمكن استدعاؤها بواسطة قرص مماثل يحتفظ به ، ولو أمكننا الحصول على هذا القرص بمساعدتكم ، فسوف ..

قاطعته (برچيت) بصيحة استنكار :

ــ بمساعدتنا نحن ؟!.. مَنْ أعطاك هذه الفكرة ؟

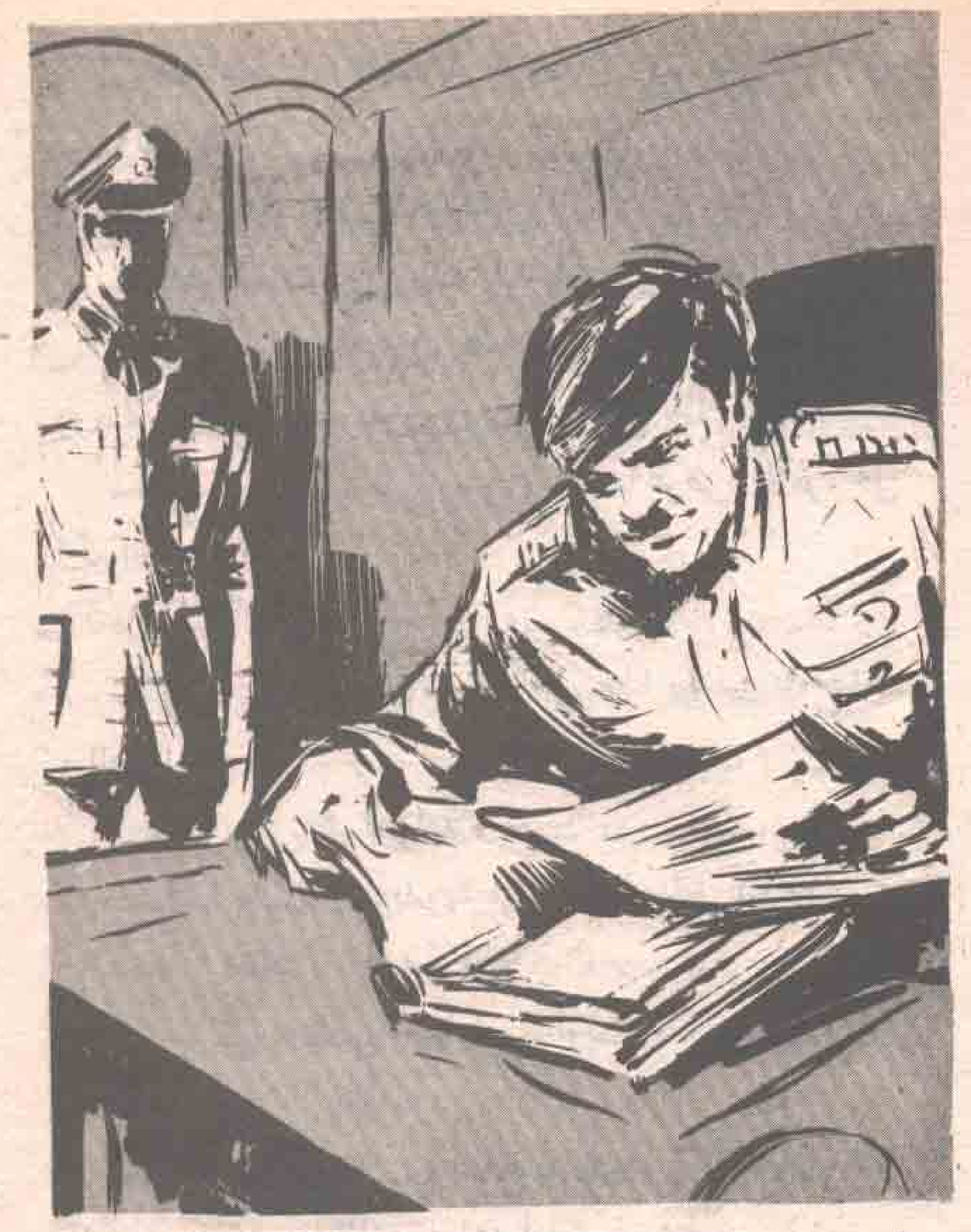
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ لابدَّ من مساعدتكم لنا يا (برچيت) .
هتفت فى سخط :
ــ ومن قال هذا ؟!.. إن قضيتكم تختلف عن قضيتنا .. إنكم تسعون للعودة إلى المستقبل ، أما نحن فنحارب من أجله .
تدخَّل (آلان) هاتفًا :
ــ ثم إننا نضمن النصر ، كما يقول تاريخكم .
ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى حِدَّة :
ــ لا تكن واثقًا هكذا يا (آلان) .. لقد أخطأت (برچيت) حينما قالت : إن قضيتنا تختلف عن قضيتكم ، فكلانا يسعى لهدف واحد ، فلو ظلّ هذا الشيطان طليقًا ، فسينجح فى قلب التاريخ الذى نعرفه رأسًا على عقب ، ولن تُهزم (ألمانيا) النازية أبدًا ؛ لذا فمن الضرورى أن نتحد معًا ؛ لنظفر نحن بالرجل ، وتظفرون أنتم بالنصر والحُرِّيَّة .
ساد الصمت والوجوم لحظات ، ثم التفت (آلان) إلى رفاقه ، وهو يقول فى حزم :
ــ إنه على حَق .
ثم اتجه نحو (نور) ، ووضع يده على كتفه فى قوَّة ، وهو يقول فى لهجة رجل حسم أمره :

ــ أنا فى صفّك .
دارت (برچيت) بعينيها فى وجه رجال المقاومة ، وقرأت بخبرتها الجواب فى ملامحهم ، ثم التفتت إلى (نور) ، وهى تقول فى حزم :
ــ كلنا فى صفك .
تنفَّست (سلوى) الصُّعَداء ، وتنهَّد (رمـزى) و (محمود) فى ارتياح ، فى حين ابتسم (نور) وهو يقول :
ــ كلنا سنعمل فى صف واحد .
وامتلأ صوته بالفخر والحماس ، وهو يستطرد :
ــ وسنسعى جميعًا خلف شيطان الأجيال .

* * *

عبر (خالد رضوان) حجرة مكتب (أدولف هتلر) بخطوات واسعة ، وتوقَّف أمام زعيم النازية ، الذى قاد نصف العالم يومًا ، ورفع ساعده أمامه بالتحية ، وهو يهتف فى حماس :
ــ هَايِلْ هِتْلَر .
رفع (هتلر) راحته فى عظمة ، ثم أرخى يده إلى جواره ، ومطَّ شفتيه مبرزًا شاربه القصير ، قبل أن يقول فى صرامة :



تألّقت عينا (أدولف هتلر) فى شغف لم ينتقل إلى صوته ، الذى ظلّ جامدًا صارمًا ، وهو يتناول الملفّ ، ويقلّب أوراقه فى هدوء

ــ سمعت أنك تطلب مقابلتى يا (فريدريش) .. ماذا لديك ؟

أجابه (خالد) فى هدوء :

ــ سلاح سيغيّر مصير (أوروبا) .. بل العالم أجمع أيها (الفوهلر) .

ارتفع حاجبا (هتلر) فى اهتمام واضح ، إلّا أن صوته ظلّ على صرامته ، وهو يسأله :

ــ أى سلاح هذا ؟

وضع (خالد) أمامه ملفًّا ضخمًا ، وهو يقول :

ــ هاهو ذا ياسيّدى (الفوهلر) .. إنهما سلاحان فى الواقع : أحدهما يعتمد على تكثيف طاقة الضوء فى خيط واحد مدمّر ، أطلقت عليه اسم (ليزر) ، والآخر قنبلة ، تعتمد على الانشطار النووىّ المتسلسل ، أطلقت عليها اسم (القنبلة الذريّة) ، والقنبلة الواحدة يمكنها أن تطيح بـ (لندن) كلها فى ضربة واحدة .

تألّقت عينا (أدولف هتلر) فى شغف لم ينتقل إلى صوته ، الذى ظلّ جامدًا صارمًا ، وهو يتناول الملفّ ، ويقلّب أوراقه فى هدوء ، قائلًا :

ـ هذا أعجب ما سمعت يا (فريدريش) .. هل أنت واثق من قولك هذا ؟

ابتسم (خالد) فى سخرية ، وقال :

ـ التصميمات بين يديك يا سيِّدى (الفوهلر) .

أومأ (هتلر) برأسه فى بطء وهدوء ، ثم أغلق الملفَّ ، ووضعه أمامه ، وهو يقول فى لهجة تُوحِى باللامبالاة :

ـ لا بأس يا (فريدريش) .. سأعرض الأمر على الخبراء .

قال (خالد) فى هدوء :

ـ إننى أرغب فى الإشراف على هذا بنفسى يا سيِّدى (الفوهلر) .

أجابه (هتلر) فى صرامة :

ـ فيما بعد يا (فريدريش) .. هذا سابق لأوانه .

أومأ (خالد) برأسه ، قائلًا :

ـ سأكرِّر مطلبى حينما يحين الوقت المناسب يا سيِّدى (الفوهلر) .

مطَّ (هتلر) شفتيه ، وأشاح بوجهه ، وكأنما يعلن انتهاء المقابلة ، فرفع (خالد) ذراعه أمامه ، وهتف :

ـ هايل هتلر .

ثم دار على عقبيه فى حركة عسكرية ، وغادر مكتب (هتلر) فى خطوات واسعة ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يحدِّث نفسه ، مغمغمًا :

ـ اذهب إلى الجحيم يا رائد القرن العشرين ، لقد وضعت اللبنة الأولى فى لعبة تغيير التاريخ .

* * *

استمع رجال المقاومة فى اهتمام إلى خطبة (هتلر) الرنَّانة ، التى نقلها إليهم جهاز (سلوى) ، عن مذياع (برلين) ، ثم هتفت (برچيت) فى توتُّر :

ـ يبدو أن توقُّعاتك قد صدقت أيها الرائد (نور) .. لقد أعلن (هتلر) فى خطبته أن (ألمانيا) قد أصبحت تملك سلاحًا سرِّيًّا ، ويهدِّد باستخدامه ضد (أوروبا) كلها ، إذا ما جرؤت القوَّات المشتركة على الهبوط فى (فرنسا) .

ارتجف صوت (آلان) ، وهو يقول :

ـ هل يعنى هذا أن تغيير التاريخ قد بدأ ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى هدوء :

— ليس بعد .. لقد نقلت كتب التاريخ فى عصرنا خطبة (هتلر) هذه ، وتهديداته للعالم كله باستخدام السلاح السِّرّى ، الذى يحتفظ به فى المخزن رقم ثلاثة عشر ، ولكنه لم يستخدمه أبدًا ، ولم يعرف عنه أحد شيئًا ، حتى بعد هزيمة (ألمانيا) .

قالت (سلوى) فى توتُّر :

— ولكن هذا يعنى أن شيطان الأجيال اللعين قد سلَّم (هتلر) تصميمات بعض أسلحة المستقبل ، ولو نجح (هتلر) فى صنع هذه الأسلحة ، فلن تصمد أمامه جيوش الحلفاء كلها .

تنهَّد (نور) فى عمق ، قبل أن يقول :

— ينبغى أن نقاتل لمنع حدوث ذلك يا عزيزتى .

سألته (برجيت) فى انفعال :

— كيف ؟!

عقد حاجبيه ، وهو يفكِّر فى عمق ، ثم قال فى هدوء :

— إننا نحتاج إلى نقطتين أيها السادة .. أولاهما : اجتذاب ذلك الشيطان (خالد رضوان) إلى هنا ، وثانيتهما : منع (هتلر) من تنفيذ أسلحة المستقبل .

هتفت (برجيت) فى توتُّر :

— مازال سؤالى ساريًا .. كيف ؟

شبَّك (نور) أصابع كفَّيْه أمام وجهه ، واسترخى فى مقعده ، والتزم الصمت طويلًا ، ثم قال فى هدوء :

— أعتقد أننا سنلعب اللعبتين فى آن واحد يا رفاق .

ونهض وهو يستطرد فى حماس :

— سنحوِّلها إلى حرب تكنولوجية ، وسندفع (خالد) دفعًا إلى الوصول إلى (باريس) ، وعن طريقه سنحطِّم سلاح النازى السِّرّى الجديد .

وتألَّقت عيناه ، وهو يردف :

— سنبدأ نحن بصنع أسلحة المستقبل .

* * *

٧ ــ فى سماء المعركة ..

كانت الأمطار تهطل فى غزارة ، فى تلك الليلة من ليالى شتاء (باريس) ، حينما عبر رجل وفتاة الطريق ، تحت المطر المنهمر ، واتجها إلى مخزن ضخم ، يحتلّ ناصية كاملة ، فى أطراف (باريس) ، وطرق بابه طرقات هادئة ، ومضت فترة من السكون ، قبل أن يطلّ وجه رجل مسنّ من فتحة باب المخزن ، ويتطلّع إلى وجهى الرجل والفتاة ، ثم يفسح لهما الطريق فى صمت ، فيدلفان إلى الداخل فى سرعة ، ويغلقان الباب خلفهما فى إحكام ..

وخلعت الفتاة معطفها المبلّل بمياه الأمطار ، وهى تتطلّع إلى الهيكل المعدنى ، الذى انهمك أكثر من عشرة رجال فى وضع اللمسات الأخيرة له ، والتفتت إلى (نور) تسأله فى اهتمام مشوب بالقلق :

ــ هل أنت واثق من نجاح هذا الشىء ؟

أومأ (نور) برأسه ، وهو يقول :

ــ تمام الثقة يا عزيزتى (برچيت) .. إنه سيكون صدمة

لرجال القوّات الجوّية الألمانية ، وسيثير ذهولهم إلى أقصى حدّ .

سأله (آلان) ، وهو يخلع معطفه المبلّل بدَوْرِه :

ــ وماذا عن (فريدريش) ؟

ابتسمت (سلوى) ، وهى تجيب :

ــ هو وحده سيفهم ما يحدث ، وسيُهْرع إلى هنا ، فى محاولة لمنعنا من تحطيم خطته .

تطلّع (آلان) إلى الهيكل المعدنى فى ريبة ، فتدخّل (محمود) ، قائلًا :

ــ دعك من الشكل الخارجى يا (آلان) .. إنه إنجاز رائع أن نصنع هذه الطائرة فى أسبوع واحد ، ولولا تضافر نصف سكّانٌ (فرنسا) لصنعها ، ما تمّ إنجازها فى مثل هذا الوقت ، ولكنها تسير بسرعة الصوت ، أى بخمسة أضعاف سرعة طائرات الرايخ الثالث ، وهى مزوّدة بمدفعى ليزر ، وجهاز موجات فوق صوتية ، كفيل بإيقاف كل المحرّكات ، ولقد زوّدتها عزيزتنا (سلوى) بمجال كهرومغناطيسىّ قوىّ ، سيحيط بها كدرع يدرأ عنها رصاصات الطائرات الأخرى ، وقنابل المدفعية المضادة للطائرات .

غمغم (آلان) فى سخط :

ــ لست أفهم حرفًا واحدًا من كل هذا .

ابتسم (رمزى) وهو يقول :

ــ اطمئن يا عزيزى (آلان) .. ستفلح خطتنا .

عقدت (برچيت) حاجبيها ، وهي تقول فى قلق :

ــ وماذا لو كان النازيون قد بدءُوا فى صناعة أسلحة المستقبل بالفعل ؟

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى ثقة :

ــ مستحيل يا عزيزتى (برچيت) .. إن صنع أسلحة المستقبل يحتاج إلى استعدادات وتقنيات صناعية ضخمة ، من المستحيل أن يتمّ إنجازها فى ذلك الزمن القصير .

غمغمت (برچيت) فى قلق :

ــ أتعشَّم ذلك .

تنهَّد (نور) ، وابتسم قائلًا :

ــ اطمئنى يا عزيزتى (برچيت) ، غدًا ستتحطَّم الغطرسة الألمانية ، فى سماء المعركة .

* * *

جاء الصباح التالى على عكس المساء ، صحوًا دافئًا مشرقًا ، وانتعش قلب الطيَّار الحربىّ الألمانى (هانز) ، وهو يحلّق بطائرته فى سماء (باريس) ، وتحدَّث لاسلكيًّا مع صديقه (رالف) ، قائلًا فى مرح :

ــ صباح جميل يا صديقى .. أليس كذلك ؟

أجابه زميله فى هدوء :

ــ بلا شك يا صديقى .. إنها تبدو جولة عاديَّة .. أليس كذلك ؟

ضحك (هانز) ، قبل أن يقول :

ــ كل جولاتنا فى سماء باريس عاديَّة يا عزيزى (رالف) .. إن طائرات الحلفاء لن تجرؤ على ولوج سماء ، تحلّق فيها نسور النازية .

جاءته إجابة (رالف) على هيئة شهقة قويَّة ، قبل أن يهتف :

ــ (هانز) .. احترس .. هناك طائرة انـ .....

بتر (رالف) عبارته قبل أن يتمَّها ، إذ عجز عن تحديد هُوِّية تلك الطائرة ، التى بدت له عجيبة الشكل والتكوين ، فائقة السرعة ، إلى حدّ أذهله ، وألجم لسانه ، فى حين جاء ردّ

فعل (هانز) سريعًا رائعًا ، فدار بطائرته فى سرعة ، ليواجه الطائرة المهاجمة ، وأطلق عليها سيلًا من رصاصات مدفعه الرشّاش ، دون أن يعبأ بتحديد هويّتها أو قوّتها ، ولقد أقسم لنفسه ـ فى تلك اللحظة ـ أن رصاصاته قد أصابت جسد الطائرة العجيبة ، إلّا أنها لم توقف اندفاعها نحوه ، وبدا جسدها سليمًا ، وكأنّما لم تمسّسه الرصاصات ، مما أصابه بذهول ، جعله يتوقّف عن إطلاق رصاصات مدفعه ، وهو يهتف :

ـ يا للشيطان !!

وفجأة انطلق من جانبى جسم الطائرة شعاعان من اللّيزر ، أصابا جسم طائرته ، فاشتعلت فيها النيران ، وهو يكرّر صارخًا :

ـ يا للشيطان !!

أما زميله (رالف) فقد اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يرى طائرة (هانز) تهوى من حالق ، وهى تجرّ خلفها خيطًا من الدّخان الأسود ، وفكّر ألف مرّة فى التراجع والانسحاب ، أمام تلك الطائرة المعجزة ، التى حطّمت كل مفاهيمه عن تطوّر الطائرات المقاتلة ، ووسائل قتال نسور الجو ، إلّا أن كرامته واعتزازه بنفسه ، كمقاتل فى قوّات النازية ، جعلاه ينقضّ على

الطائرة العجيبة فى بسالة ، ويطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحوها ..

وانحرفت الطائرة ، التى يقودها (نور) ، فى سرعة ومهارة مذهلتين ، بالنسبة لطيّار من منتصف القرن العشرين ، وارتفعت فوق رأس (رالف) ، ثم استدارت لتأتى من خلفه فى سرعة ، جعلته يهتف فى ذعر :

ـ يا إلٰهى !! لقد التقط ذيل طائرتى .. لن أنج منه أبدًا .

إلّا أن (نور) لم يطلق دفقة واحدة من مِدْفَعي الليزر فى طائرته ، نحو طائرة (رالف) ، بل اكتفى بمطاردتها ، مستعرضًا كل إمكانات طائرته ، فأخذ يدور حول طائرة (رالف) ، وأمامها ، ثم يعود ليحلّق فوقها ، ويتعقّبها مرّة أُخرَى ، حتّى ارتفعت فى سماء المعركة عشر مقاتلات ألمانية أخرى ، انطلقت لمؤازرة (رالف) ..

هنا فقط بدأت المعركة الحقيقية ..

لقد استخدم الطيارون الألمان كل مهاراتهم ، وخبراتهم الحربية ، إلّا أنّ طائراتهم بدت لـ (نور) كسلاحف بطيئة ، وهو الذى اعتاد قيادة سيارته بسرعة خمسمائة كيلومتر فى الساعة ، فى القرن الحادى والعشرين ..

ولم تستغرق المعركة طويلًا ..

ففى أقل من عشر دقائق ، كان (نور) قد أسقط المقاتلات العشر ..

وأبقى على (رالف) ..

أبقى عليه ؛ لأنه كان يحتاج إلى شاهد ..

شاهد يؤكِّد أن التفوُّق الألمانىّ قد تحوَّل إلى دُعَابةٍ تثير السخرية ، فى سماء (باريس) ..

* * *

كان من الواضح أن (أدولف هتلر) يتميَّز غضبًا ، حينما استقبل (خالد) فى مكتبه هذه المرَّة ، وهو يقول فى عصبية :

ــ من أين سرقت تلك التصميمات ، التى أعطيتنى إياها يا (فريدريش) ؟

اتسعت عينا (خالد) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ سرقتها ؟! .. إنها تصميماتى أنا .

ضرب (هتلر) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يصيح فى غضب :

ــ إذن فقد تسرَّب سرّ تصميماتك يا (فريدريش هولدشتاين) .. لقد سبقنا الأمريكيون أو البريطانيون ، فى صنع ذلك السلاح الضوئى .



ولم تستغرق المعركة طويلًا .. ففى أقل من عشر دقائق ، كان (نور) قد أسقط المقاتلات العشر

هتف (خالد) فى ذهول :
ــ ماذا تقول يا سيِّدى (الفوهلر) ؟
ألقى إليه (هتلر) بثلاثة تقارير كبيرة ، وهو يهتف فى غضب :
ــ اقرأ هذا .
وحَدَجَه بنظرة قاسية غاضبة ، وهو يقرأ التقارير فى لهفة ، حتى هتف :
ــ يا للشيطان !! .. لقد سبقنى ذلك الرائد .
سأله (هتلر) فى عصبية :
ــ أى رائد هذا يا (فريدريش) ؟.. هل هزمتك مخابرات الحلفاء هذه المرَّة ؟
عقد (خالد) حاجبيه ، وهو يقول محتدًّا :
ــ إننى أعرف مَنْ فعل هذا يا سيِّدى (الفوهلر) ، وأعرف كيف أُوقفه عند حَدِّه .
لوَّح (هتلر) بذراعه فى سخط ، وهو يقول :
ــ كيف ؟
اكتسب صوت (خالد) صلابة الفولاذ ، وقسوة الصُّلْب ، وهو يقول :
ــ سأسافر إلى (باريس) يا سيِّدى (الفوهلر).. الليلة.

* * *

٨ ــ فى مواجهة الشيطان ..

« لقد وصل (فريدريش) إلى (باريس) .. » .
نطق (آلان) هذه العبارة فى انفعال واضح ، وانتقل انفعاله إلى الجميع ، فتبادلوا نظرات حماسيَّة ، قبل أن يقول (نور) :
ــ الآن يمكننا أن نضرب ضربتنا .
غمغمت (سلوى) فى قلق :
ــ هل تظن أنه سينتظر هجومنا ؟
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ــ نعم .. لقد أكَّد لى (رمزى) أنه سيفعل ، وسيستعدّ لمواجهتنا بكل ما يمكنه من وسائل .
ثم التفت إلى (رمزى) يسأله :
ــ هل تظن أنه سيحمل قرص استدعاء فقَّاعة الزمن معه ؟
أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :
ــ إنه لن يتخلَّى عنه أبدًا ، فهو بمثابة طَوْق النجاة الأخير له .
تنفس (نور) الصُّعَداء ، وهو يقول :
ــ عظيم .

سألته (برچيت) فى اهتمام :

ــ ما خطتك هذه المرّة أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ إن (خالد) ، أو (فريدريش) ، يتوقَّع منّا هجومًا تكنولوچيًا يا عزيزتى (برچيت) ، ولكننا سنفاجئه .

وتألّقت عيناه ، وهو يردف فى هدوء .

ــ سنباغته بخطة تقليدية ، و ... ونقتنصه .

* * *

وقف (خالد) يتطلّع من نافذة حجرته إلى (باريس) طويلًا ، قبل أن يقول فى صرامة ، دون أن يلتفت إلى ضابط (الجستابو) ، الذى يقف وسط الحجرة فى احترام :

ــ هل أصدرت أوامرك بشأن حماية مقرّى هذا أيها الضابط ؟

أجابه ضابط (الجستابو) :

ــ نعم يا سيّدى الجنرال .. لقد نفّذت أوامرك حرفيًا ، ووضعت الأجهزة التى سلمتنا إياها فى الأماكن المحدّدة.

ثم تجاسر على أن يردف فى اهتمام :

ــ ما هذه الأجهزة العجيبة يا سيّدى ؟

أجابه (خالد) فى بساطة :

ــ مستقطبات ليزرية أيها الضابط .. لا تحاول أن تفهم ، فهذا يفوق إدراكك ، ولكننى تعلّمت هذه الخدعة من ذلك الرائد وفريقه .

هزّ ضابط (الجستابو) رأسه ، وقد عجز عن الفهم ، وغمغم فى هدوء :

ــ ما دمت ترى ذلك ، فهو صحيح يا سيّدى الجنرال .

ثم عاد يسأله فى اهتمام :

ــ كيف تتوقّع الهجوم يا سيّدى ؟

تنهّد (خالد) ، وأجاب :

ــ سيهاجمون بآلات عجيبة ، تطلق أشعة ضوئية قاتلة أيها الضابط ، ولكنهم سيفاجئون بأن مستقطباتى الليزرية ستمتصّها .. كل ما عليك أن تفعله فى هذه اللحظة ، هو أن تهاجم آلتهم بكل رجالك ، وكل قوتك ، وأحضر لى هؤلاء الأوغاد أحياء .

مرّة أخرى عجز رجل (الجستابو) عن فهم هذه الألغاز ، فاكتفى بأن أومأ برأسه ، مغمغمًا :

— كما تأمر يا سيّدى الجنرال .

وفجأة تألّق بريق شرس فى عينى (خالد) ، وهو يحدّق فى شىء ما عبر الطريق ، وقال فى انفعال :

— هيّا أيها الضابط لقد بدأ الهجوم .

كانت هناك سيّارة عجيبة الشكل ، بالنسبة لهذا العصر ، تتجه نحو الفندق فى سرعة ، ولم يكد (خالد) ينطق بعبارته ، حتى اندفع من مقدّمتها شعاع ضوئى ، وصرخ هو فى مزيد من الانفعال :

— هيّا أيها الضابط .. إنها المعركة .

* * *

وقف (خالد) يتابع المعركة فى شغف وتوتّر فائقين ، ورأى أشعة الليزر تنحرف نحو مستقطباته الليزريّة ، فاختلج قلبه فى ظفر ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة شرسة شامتة ، حينما رأى كل حرّاسه ينقضّون على السيّارة العجيبة ، ويمطرونها برصاصاتهم ، وغمغم ساخرًا :

— يبدو أنكم ستذوقون الهزيمة هذه المرّة ، يا رجال القرن الحادى والعشرين .

فاجأه صوت أكثر سخرية ، يقول :

— لست أظن ذلك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .

تجمّدت الدماء فى عروق (خالد) ، واستدار إلى مصدر الصوت فى حركة حادّة ، واتسعت عيناه فى ذُهول ، وتراجع فى ذُعْر ، وهو يهتف :

— أنتم ؟!

كان أمامه (نور) وفريقه كله ، يصوّبون إليه أسلحتهم ، فاستطرد فى مزيج من الدهشة والحَنَق :

— كيف وصلتم إلى هنا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

— من أعلى أيها الوغد .. لقد خدعناك ، وخدعنا رجالك بسيارة هيكلية ، يتم تحريكها بالتحكُّم الآلىّ عن بُعْد ، وهبطنا نحن من سقف المبنى المجاور ، إلى سقف هذا المبنى ، وقام أصدقاؤنا من رجال المقاومة الفرنسيّة باحتلال السقف ، والسيطرة على حرّاسه ، وهبطنا نحن لنحظى بك .

ظلّ (خالد) يحدّق فى وجوههم طويلًا فى ذُهول ، ثم ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه ، وهو يقول :

— إذن فقد ربحتم هذه الجَوْلَة أيضًا أيُّها السّادة .

أجابه (نور) :

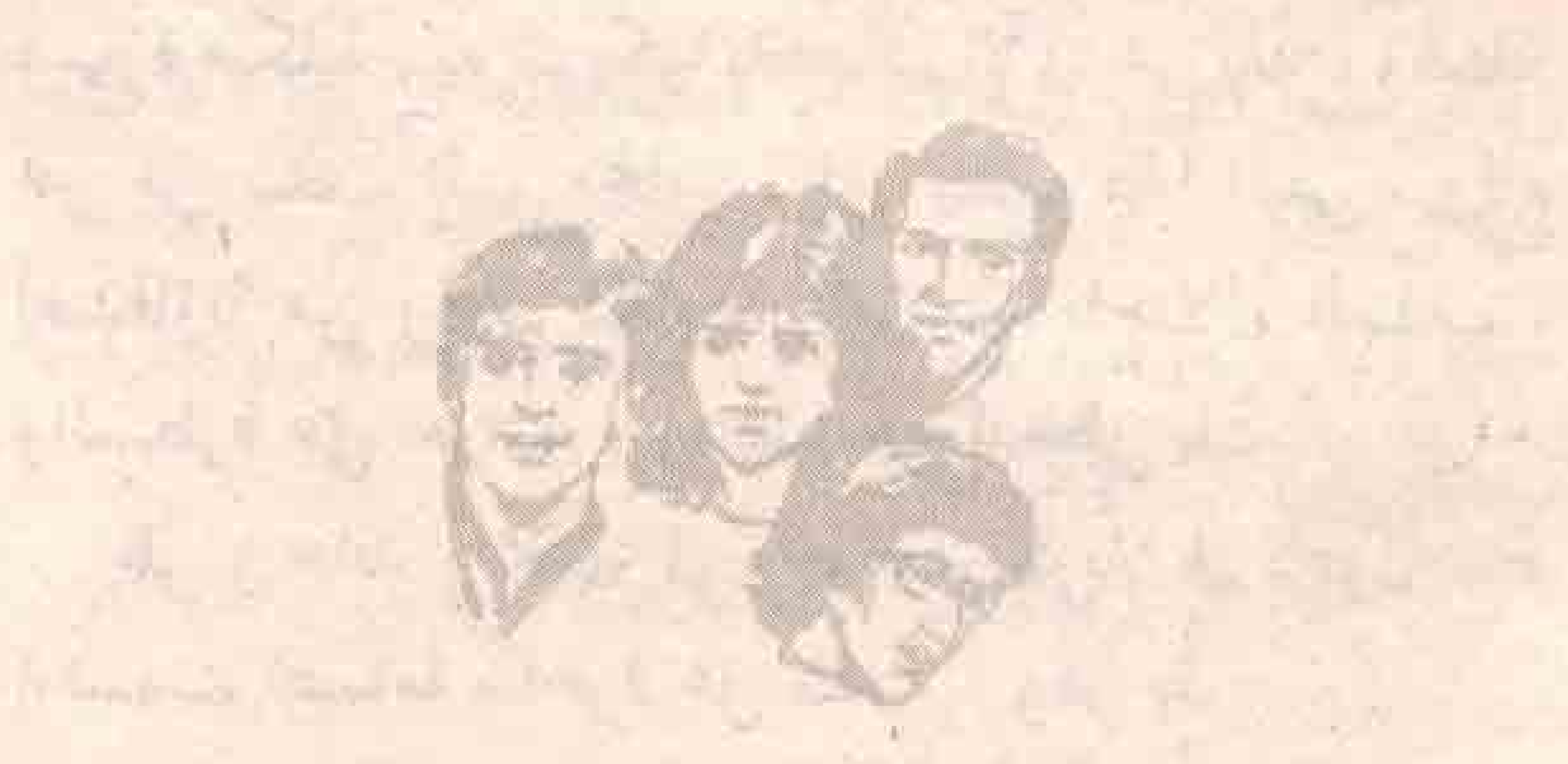
ــ بل المعركة كلها هذه المرَّة يا شيطان الأجيال .

أطلق (خالد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ يالَكَ مِنْ مَغْرور !!

ثم ضغط قرص استدعاء فقّاعة الزمن فى غضب وحزم ..

* * *



٩ ــ تذكرة إلى الفشل ..

كان الذهول من نصيب (خالد) هذه المرّة ، عندما لم يستجب له القرص ..

لقد كان يتوقَّع أن تحيط به فقاعة الزمن ، ذات الجدران المضادَّة لكل أنواع الأسلحة ، فور ضغطه على القرص ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

واتسعت عيناه فى جزع وذهول ، وهو يكرِّر ضغطه على القرص عشرات المرَّات ، حتى قالت (سلوى) فى سخرية :

ــ لا تحاول يا شيطان الأجيال .. نحن أيضًا نستفيد من الأخطاء السابقة .

أكمل (محمود) عبارتها قائلًا :

ــ لقد أدركنا أن ذلك القرص يرسل نوعًا من الإشارات فوق الصوتية ، التى تأتى بفقَّاعة الزمن ؛ لذا فقد حرصنا على أن نثبِّت فى جدار حجرتك ، منذ لحظات ، جهازًا خاصًا ، من اختراع عزيزتنا (سلوى) ، تنحصر مهمته فى تشتيت موجة الاستدعاء ، وتحويرها ، فلا تأتى الفقَّاعة أبدًا .

اتسعت عينا (خالد) فى ذُعر وذُهول ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

اقترب منه (نور) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ لقد خسرت المعركة هذه المرَّة أيها الشيطان .

صاح (خالد) فى غضب :

ـ ولن تربحوها يا رائد القرن الحادى والعشرين ، سنبقى جميعًا فى هذا الزمن .

وفى غضب وثورة ، ألقى القرص أرضًا ، واندفعت قدمه لتحطمه تحطيمًا ..

* * *

كان المستحيل أن يفقد (نور) الوسيلة الوحيدة ، لعودتهم إلى زمنهم ، هذه المرَّة ..

إنه لم يكد يلمح (خالد) ، وهو يلقى القرص أرضًا ، حتى اندفع نحوه بكل إصراره ورغبته فى الخروج من الضياع ..

وقبل أن تمس قدم (خالد) القرص بجزء من الثانية ، هوت لكمة (نور) على فكه ، فألقته أرضًا ، واتسعت عيناه فى ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص فى سرعة ، فصاح فى مرارة :



واتسعت عيناه فى ذعر ، حينما رأى (نور) يلتقط القرص فى سرعة ، فصاح فى مرارة : ـ مستحيل !.. مستحيل !

— مستحيل !. مستحيل !

وزاغت عيناه فى محجرَيْهما ، حينما قال (نور) فى صرامة :

— والآن ماذا نفعل بك ؟

لوَّح الشيطان بذراعه فى رُعب ، وهو يهتف :

— لا تقتلنى .. لا تقتلنى .

جلس (نور) فى هدوء على المقعد المقابل له ، ومطّ شفتيه ، وهو يقول :

— ولكنك تعلم مثلى أن فُقَّاعة الزمن لا تتسع لأكثر من أربعة أشخاص ، ونحن أربعة ، أنا وفريقى ، ثم إننا لا نستطيع تركك هنا ، وإلَّا كان هذا يعنى فشل المهمة ، التى جئنا من أجلها ، وجُبْنا العصورَ سعْيًا وراء نجاحها .

اتَّسعت عينا (خالد) فى رُعب ، وهو يقول :

— ولكنك تكره القتل والدّمار أيُّها الرائد .. أليس كذلك ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

— لا يوجد حلّ بديل .

وصمت لحظة ، تأمَّل خلالها آيات الرُّعب ، المُرْتسِمة على وجه (خالد) ، قبل أن يقول فى خُبْث :

— إلَّا إذا ..

تعلَّق (خالد) بهذه الكلمة ، كما يتعلَّق غريق يائس بآخر أمل للنجاة ، وهَتَف :

— إلَّا إذا ماذا ؟

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتىْ (نور) ، وهو يقول :

— سأخبرك يا وغد القرن الخامس والثلاثين .. سأخبرك إلَّا إذا ماذا .....

* * *

شعر ضابط (الجستابو) بالدهشة والحَيْرة ، حينما وجد السيَّارة العجيبة بلا قائد ، وغمغم فى توتُّر :

— كيف كانت تسير إذن ؟

وعقد حاجبيه ، محاولًا فهم ما يحدث فى تلك الليلة العجيبة ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه فى يأس ، وقال فى سخط :

— لا ريب أن الجنرال (فريدريش) يعلم .

وأسرع الخطا عائدًا إلى حجرة (خالد) ، ولم يكد يلجها ، ويرى أفراد الفريق ، الذين يجلسون إلى جواره ، حتى انتزع مسدَّسه ، وتراجع هاتفًا فى جَزَع :

— سيِّدى الجنرال ؟!

كان (خالد) يبدو شاردًا ، وهو يرفع كفَّه قائلًا :

ـــ لا عليك أيها الضابط .. إنهم أصدقاء .

تردَّد ضابط (الجستابو) لحظات ، فأردف (خالد) فى شرود :

ـــ إنهم من رجال مخابراتنا هنا .

كانت الإجابة تكفى لبث الارتياح فى نفس ضابط (الجستابو) ، فأعاد مسدَّسه إلى جرابه ، وهو يقول :

ـــ هناك شىء عجيب يحدث هنا يا سيِّدى الجنرال .

أجابه (خالد) :

ـــ أعلم ذلك أيها الضابط .. لقد انتهى كل شىء .. لقد كانت تجربة لفاعلية وسائل الأمن .. مُرْ رجالك بتحطيم تلك السيَّارة ، ونسف بقاياها ، مع الأجهزة التى زرعتها فى أنحاء المبنى .

رفع ضابط (الجستابو) حاجبيه فى دهشة ، ثم أجاب فى استسلام :

ـــ كما تأمر يا سيِّدى الجنرال .

نهض (خالد) فى هدوء ، وقال لـ (نور) ورفاقه فى شرود :

ـــ وداعًا أيها الأصدقاء .. سيرافقكم الضابط إلى الخارج .

تبادل (نور) نظرة ارتياح مع (رمزى) ، ثم أجاب فى هدوء :

ـــ وداعًا يا چنرال (فريدريش) .. وداعًا إلى الأبد ..

واطمأن قلبه إلى أن (خالد رضوان) قد حصل على تذكرته إلى المحطة النهائية ..

تذكرة إلى الفشل ..

* * *



١٠ ـــ العودة إلى المستقبل ..

تهلَّلت أسارير (برچيت) ، وهى تهتف فى سعادة :

ـــ إذن فقد نجحت مهمتكم .. عاد التاريخ يسير فى مجراه الطبيعىّ .

أجابها (نور) فى ارتياح :

ـــ نعم يا عزيزتى (برچيت) .. لقد انتهى كل شىء على ما يرام .

سأله (آلان) فى حَيْرة :

ـــ ولكن كيف فعلتم ذلك ؟

أشار (نور) إلى (رمزى) ، وهو يقول فى اعتزاز :

ـــ هو سيخبرك ، فهو البطل هذه المرَّة .

ابتسم (رمزى) فى فخر ، وهو يقول :

ـــ لقد استخدمت معه التنويم المغناطيسىّ يا عزيزى (آلان) .. لقد كان خائفًا ، مهزومًا حتى أنه كان يرغب فى الوقوع تحت تأثيره ، ما دام هذا هو البديل الوحيد لقتله .. وبعد أن سيطرت على عقله ، جعلته ينسى من هو ، ومن أين جاء . جعلته ينسلخ عن القرن الخامس والثلاثين ، الذى أتى

منه ، ويحيا بكيانه وذاكرته فى ذلك العصر ، الذى سيبقى فيه إلى الأبد .

غمغم (آلان) فى حَيْرة :

ـــ لست أفهم شيئًا .

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ باختصار يا صديقى ، لقد انتهى (خالد رضوان) إلى الأبد ، ولم يعد هناك سوى (فريدريش هولدشتاين) فقط .

هتف (آلان) فى سخط :

ـــ وهل تعدّ ذلك نصرًا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إننى أكره سفك الدماء يا (آلان) .

مطّ (آلان) شفتيه ، وهو يغمغم :

ـــ إننا فى حرب .

تجاهل (نور) عبارته ، والتفت إلى (برچيت) ، قائلًا :

ـــ بقيت نقطة أخيرة يا (برچيت) .. إن معرفتكم بما حدث تخلّ بتطوُّر الأحداث الطبيعىّ فى التاريخ ؛ لذا فلا ينبغى أن يذكر أحدكم ما حدث أبدًا .

أجابته (برچيت) فى إخلاص :

ــ إننا ندرك ذلك ، ولقد حطَّمنا كل الأسلحة الحديثة ، التى صنعتموها هنا .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ هذا لا يكفى يا عزيزتى .

سألته فى حَيْرَة :

ــ ماذا تريد إذن ؟

تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ــ سيمحو (رمزى) كل ما حدث من ذاكرتكم .. هذا حَتْمِىٌّ .

تردَّدت طويلًا ، وحاولت أن تعترض ، إلَّا أنها غمغمت فى استسلام :

ــ فليكن ، ما دام هذا حتميًّا .

ثم أسرعت تستدرك :

ــ ولكنَّ هناك نُقْطتين ، أحب أن استوضحهما أوَّلًا .

سألها (نور) فى هدوء :

ــ ما هما ؟

سألته فى لهفة :

ــ كيف سيمكنكم العودة إلى المستقبل ، ما دمتم تجهلون أسلوب قيادة فقَّاعة الزمن ؟

أجابها فى هدوء :

ــ سنعكس البرنامج ، فنعود بنا الفقَّاعة إلى العصر ، الذى انطلقت منه ..

سألته فى اهتمام :

ــ وماذا عن أسلحة المستقبل ، التى أعطى (فريدريش) تصميماتها إلى (هتلر) ؟

أجابها (نور) :

ــ هو نفسه سيفسد التَّصْمِيمَات دون أن يدرى ، لقد أمره (رمزى) بإدخال تعديلات تفسدها ، بحيث يعجز الرايخ الثالث عن صنعها ، حتى تنتهى الحرب .

تنهَّدت فى ارتياح ، وقالت :

ــ الآن يمكنكم أن تمحوا كل شىء من ذاكرتنا ، ما دامت الحرب ستنتهى بالنصر ، وبالحرية لمعشوقتنا (باريس) .

* * *

كان لقاء حارًّا فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى القرن الخامس والثلاثين ..

لقد استقبل (نور) وفريقه فى حرارة بالغة ، واستمع إلى

قصتهم فى ارتياح ، ثم لوَّح بكفه ، قائلًا فى لهجة تحمل كل الاعتذار .

— يؤسفنى أننا اضطررنا لإخفاء أمر السفر عبر الزمن عنكم أيها السَّادة ، فهكذا تقتضى القوانين ، فلو أن أهل العصور الماضية قد أدركوا تلك الحقيقة العلمية العجيبة ، ما اطمأنَّ أىٌّ منهم إلى يومه ومستقبله .

سألته (سلوى) :

— هل كنت واثقًا من نجاحنا ، على الرغم من أنك لم تخبرنا بذلك ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— عودتكم وحدها تؤكِّد نجاحكم يا سيِّدتى ، فلو نجح هذا الشيطان فى مهمَّته ، لانقلب التاريخ كله رأسًا على عقب ، وما كنا نحن هنا .

قال (نور) فى هدوء :

— ومن قال إن التاريخ لم يتغيَّر ؟

رفع القائد الأعلى حاجبيه ، قائلًا :

— كل شىء يؤكِّد ذلك يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— هل لديك إذن كتب تتحدَّث عن محاكمات (نورمبرج)(*) ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

— بالطبع .. إننا نحترم الكتب والثقافة كثيرًا فى هذا العصر ، على الرغم من انتشار كل وسائل الترفيه المتطوِّرة للغاية .

ثم ضغط بضعة أزرار على مكتبه ، فتحرَّك جزء منه ، كاشفًا فجوة صغيرة ، برز منها كتاب أنيق ، تناوله القائد الأعلى فى رشاقة ، فى حين غمغمت (سلوى) :

— إننى لم أتوقَّع أبدًا أن أجد كتبًا فى هذا القرن .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

— متعة القراءة لا تزول أبدًا ، مهما بلغت الحضارة يا سيِّدتى .. إنها على العكس .. تتضاعف .

وناول الكتاب إلى (نور) ، مستطردًا :

(*) نورمبرج : مدينة شمال (باقاريا) ، على نهر (بجيز) فى (ألمانيا) ، أقيمت بها محاكمة دولية لمجرمى الحرب العالمية الثانية ، بعد انتصار الحلفاء ، وأُدين فيها معظم جنرالات (هتلر) ، ممن بقوا على قيد الحياة بعد الهزيمة .

ـ ها هو ذا .. ماذا تتوقَّع أن تجد فيه ؟

قلَّب (نور) صفحات الكتاب فى هدوء ، حتى توقَّف عند نقطة ما ، وأشار إليها ، قائلًا :

ـ هذا .

اتسعت عينا الجميع فى دهشة ، وهتف القائد الأعلى فى ذهول :

ـ مستحيل !! لقد قرأت هذا الكتاب أكثر من عشر مرَّات ، ولم تكن هذه الصورة هنا أبدًا .

استرخى (نور) فى مقعده ، وابتسم ، وهو يقول :

ـ ألمْ أقل لك يا سيِّدى ؟.. لقد تغيَّر التاريخ .

وعاد الجميع يحدِّقون فى تلك الصورة ، التى تحمل وجه (خالد رضوان) ، وتحتها كلمات تقول :

ـ الجنرال (فريدريش هولدشتاين) .. حُوكِمَ كمجرم حرب ، وأُدِينَ ، وتم تنفيذ الحكم بإعدامه عام ألف وتسعمائة وستة وأربعين .

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى !! لقد نال ما يستحقُّه .

أومأ (نور) برأسه ، وهو يقول :

ـ لقد أحدث التغيُّر الذى كان ينشده فى التاريخ يا (سلوى) ، وأضاف صورته إلى كتبه .

تنهَّد (رمزى) ، وهو يغمغم :

ـ يالها من نهاية !!

ران على الجميع صمت طويل ، قبل أن يقول (نور) :

ـ أعتقد أنه قد آن الأوان لنعود إلى زمننا أيها القائد .

هتفت (سلوى) :

ـ نعم .. لا ريب أنَّ (نشوى) ابنتنا تفقدنا كثيرًا ..

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، مغمغمًا :

ـ لست أظن ذلك .

سألته فى دهشة :

ـ كيف ؟!.. لقد قضينا هنا ما يقرب من شهر كامل و..

قاطعها القائد الأعلى لمخابرات المستقبل ، وهو يقول فى هدوء :

ـ وما قيمة الزمن يا سيِّدتى ؟

أدركت ما يرمى إليه ، فغمغمت فى شرود :

ـ نعم .. ما قيمة الزمن ؟

كانوا يتناولون مشروبًا لذيذ الطعم ، حينما سألهم القائد الأعلى :

ـ ما رأيكم فى الإقامة هنا فى عصرنا ؟
تبادلوا النظرات ، ثم قال (نور) :
ـ أعتقد أننا نفضل العودة إلى زمننا يا سيِّدى و .....
شعر فجأة بدوار يكتنفه ، فحدق فى أكواب المشروب ، وهو يغمغم :
ـ ماذا وضعتم فى مشروبنا ؟
عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :
ـ لا شىء أيها الرائد .. لا شىء .
هتف (نور) :
ـ بل لقد وضعتم مخدِّرًا .. لقد ..
تلاشى كل شىء أمامه فجأة ، وغاب مع رفاقه فى غيبوبة عميقة ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها (طاهر) و (سليمان) إلى حجرة القائد الأعلى ، الذى قال فى حزن :
ـ كم يؤسفنى أن أفعل هذا بكم يا أبطال القرن الحادى والعشرين ، ولكنه القانون ..
سأله (طاهر) فى هدوء :
ـ هل نعيدهم إلى عصرهم يا سيِّدى ؟
تنهَّد قبل أن يقول :

ـ ليس بعد .. اعملوا أوَّلًا على علاج كل جروحهم بالأشعة الأوتوسيلية .. لا أريد أن نترك أىَّ أثر خلفنا .
غمغم (سليمان) :
ـ سنمحو من أذهانهم كل ما حدث بالطبع .
أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ بلا شك .
وتطلَّع إلى أفراد الفريق فى أسف ، وهو يقول :
ـ وداعًا يا أبطال مصر .. وداعًا يا عمالقة القرن الحادى والعشرين .

* * *



١١ ـ الختـــام ..

استيقظت (سلوى) من نومها فجأة ، على صوت بكاء ابنتها (نشوى) ، فأسرعت إلى حجرتها تطمئنها ، وقضت عندها بعض الوقت ، حتى عادت الصغيرة إلى النوم ، فتسلّلت (سلوى) على أطراف أصابعها ، وعادت إلى حجرتها ، فوجدت (نور) مستيقظًا ، يسألها فى تكاسل :

ـ ماذا هناك ؟

ابتسمت وهى تقول :

ـ مجرَّد حلم .. لقد عادت إلى النوم على الفور .

تنهَّد وهو يقول :

ـ بمناسبة الحلم .. لقد حلمت أننا قد ذهبنا إلى الماضى والمستقبل و ..

قاطعته فى دهشة :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد انتابنى الحلم ذاته .

اتَّسعت عيناه ، وهو يهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. هل يحتمل أن....؟

قفز من الفراش ، وتطلَّع إلى النتيجة الضوئية على الحائط ، ثم عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ النتيجة تؤكِّد أننا لم نغادر المنزل أبدًا .

عاد إلى فراشه فى حَيْرة ، ولبث صامتا بعض الوقت ، ثم سألها فجأة :

ـ متى أوينا إلى فراشنا يا (سلوى) ؟

عقدت حاجبيها فى محاولة يائسة للتذكر ، ثم غمغمت فى حَيْرَة :

ـ عجبًا !!.. لست أذكر ذلك .

أجابها فى اهتمام :

ـ ولا أنا .. آخر ما أذكره هو أننا كنا نشاهد الهولوڤيزيون فى حجرة المعيشة .

هتفت فى دهشة :

ـ وأنا أيضًا .

ثم أردفت فى حَيْرَة :

ـ عجبًا !!.. متى أوينا إلى فراشنا إذن ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وتطلَّع فى شرود إلى سقف الحجرة ، وطال صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :

ـ ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟

هزَّت رأسها ، وهى تقول :



عقد (نور) حاجبيه ، وتطلَّع فى شرود إلى سقف الحجرة ، وطال صمته ، قبل أن يسألها فى هدوء :

ــ ماذا تذكرين من ذلك الحلم يا (سلوى) ؟

ــ أشياء عجيبة متفرِّقة .. بلاط فرعونى ، وقلعة قديمة ..

أكمل فى هدوء :

ــ ومدينة أمريكية من القرن التاسع عشر ، و (باريس) فى الحرب العالمية الثانية .

هتفت فى دهشة :

ــ هذا صحيح .. كيف عرفت ؟

أومأ برأسه ، وهو يقول :

ــ ربَّما كان نوعًا من توارد الخواطر يا عزيزتى .

هتفت فى رِيبَة :

ــ (نور) .. هل تظن أنَّ ..؟

قاطعها فى هدوء :

ــ لست أظن شيئًا يا عزيزتى .. عودى إلى النوم .. إنه يداعب جفونى فى إصرار .

ثم ابتسم مستطردًا :

ــ ومهما كان الأمر ، فنحن فى عصرنا ، ووطننا ، وهذا يكفى .

وحينما استغرق فى النوم ، كانت تعلو شفتيه ابتسامة .. ابتسامة ظفر ..

[تمت بحمد الله]